الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعب

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة و الأدب العربي

تخصص: أدب حديث و معاصر

تعالق أدب السيرة بالأدب الرحلي

أنفس الذخائر و أطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي و الحاضر

الشيخ الطيب المهاجي الجزائري (نموذج)

من إعداد الطالبتين:

سمية قعموسي

أمينة قرواو

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف يوسفي

اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
نهاري شريف	أستاذ التعليم العالي	تيارت	رئيسا
يوسف يوسفي	أستاذ التعليم العالي	تيارت	مشرفا ومقرّرا
محمد ذبيح	أستاذ محاضر.أ.	تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: 1442ه/1443ه

2021م/2022م

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإننا نشكر الله وافر الشكر أن وفقنا وأعاننا على إتمام هذه

الرسالة، ثم نوجه آيات الشكر والعرفان بالجميل إلى الدكتور

"يوسفي يوسف" المشرف على الرسالة الذي منحنا الكثير من وقته،

وكان لرحابة صدره و سمو خلقه و أسلوبه المميز في متابعة الرسالة أكبر أثر في

المساعدة على إتمام هذا العمل، و نسأل الله العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء وأن

يكتب صنيعه في موازين حسناته، ونشكر اللجنة المناقشة كل من

الأستاذ شريف نهاري و الأستاذ ذبيح محمد

و يدعونا واجب الوفاء والعرفان بالجميل أن نتقدم على الأستاذ بوشيبة عبد السلام،

و درويش أمحمد وسبايس الحاج و عوني أحمد محمد ونسال الله عز و جل

أن يتغمدهم بواسع رحمته.

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد:

فالحمد لله الذي وهبني التوفيق و السداد و منحني الثبات و أعانني على

إتمام هذا العمل ويسر لي في تثمين هذه الخطوة في مسيرتي الدراسية

لنيل شهادة الماستر بفضله عز وجل

أهدي إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نور دربي

إلى جدي وجدتي أطال الله في عمرهما

لكل عائلتي الكريمة التي ساندتني ولا تزال أخي أشرف كريم وأخواتي ،

صباح، رانيا ، سميلة ، خلود

قعموسي سمية

إهداء

الى من ربانى طفلة و رعانى فتاة والدى الغالى

الى من وهبتنى الحياة و غمرتنى بعطفها امى الحبيبة

الى من ساندنى و وقف بجانبى جدى العزيز

الى كل اخوانى و اخواتى

الى كل من ساندنى فى انجاز هذا البحث

الى كل هؤلاء أهدى هذا العمل المتواضع

قرواو أمينة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الأدب إنتاجا مكتوبا يأخذ شكلا ما، و يتصل مع أفكار الكاتب ومشاعره اتصالا وثيقا. وتعتبر الكتابة وسيلة للكاتب للتعبير عن مشاعره بشكل يؤثر في نفس المتلقي ويصيب جوهر الهدف بضع كلمات على غرار الكتابة النثرية التي هي نتاج لتجارب شعورية أو فكرية يستخدمها الكاتب للتعبير عن ما يخالج صدره فيدفعه إلى اتخاذ أسلوب لغوي متميز وجنس أدبي محدد للتعبير.

و من بين الكتابات النثرية أدب السيرة وهي من الأنواع الأدبية التي يزخر بها الأدب العالمي بعامة والأدب العربي بخاصة. فالسيرة فن أدبي يهتم بتصوير حياة الشخصيات ونقل تفاصيلها، وتعد سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الأسمى. وظهر فن السيرة عند العرب وعند الغرب وهو نوعان سيرة ذاتية وتعد تعبيرا صادقا عن تجربة إنسانية حية، يتم تجسيدها من واقع الحياة إلى نص ينبض بالحياة، ينبعث منه شعور الأديب بكل صدق، وسيرة غيرية يتطرق الكاتب من خلالها إلى حياة شخص آخر كانت له بصمة في حياة الناس دفعت بعضهم إلى الكتابة عنه. وعليه فالسيرتان تحكي عن الأشخاص والأحداث وواقع حياتهم.

هذه السيرة بنوعيها قد تنفرد بجنسها الخاص فيكتب الكاتب فيها في إطارها الخاص الصرف، وأحيانا ترد بين ثنايا الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والرواية والرحلة وغيرها، وهنا تكون قد زاحمت أجناسا أدبية أخرى في مربطها. وفي هذا المضمار تندرج رحلة الشيخ سي الطيب المهاجي

الذي نحاول من خلالها أن نستشف بعض المحطات من سيرته العطرة من خلال تجواله و ترحاله ومواقفه من خلال أحداث هذه الرحلة.

ومنه تكون السيرة قد ارتبطت بالأدب الرحلي الذي يحاول هو الآخر البحث له عن جغرافية معينة في خريطة الأجناس الأدبية لما له من خصوصيات ومميزات تجعله بإمكانه الاستقلال عن الأجناس الأخرى و لما له من موضوعات خاصة ومعارف تفتح نوافذ على عوالم كثيرة علمية و تعارفية بين الشعوب والبلدان، وهنا تكمن أهمية هذا النوع من الأدب أدبيا واجتماعيا وهذا ما سنحاول أن نلمسه من خلال مقاربتنا لرحلة الشيخ الطيب المهاجي.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، هو الرغبة في معرفة هذا النوع من الأدب (الأدب الرحلي) وما يملك من خبايا وأسرار، بالإضافة إلى رغبتنا في التعرف على التراث الأدبي الجزائر، والاطلاع على أعلامه وعلمائه أجلاء، قدوة الأجيال وعلى رأسهم الشيخ سي الطيب المهاجي وأهم ما جاء في كتابه "أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أتفق لي في الماضي والحاضر".

ولعل إشكالية البحث تدور حول علاقة السيرة بالأدب الرحلي، وكيف يمكن للرحالة أن يضمن سيرته الذاتية محطات رحلته، وكيف يتم ذلك التعالق بين جنسين أدبيين أدب السيرة وأدب الرحلة، وهل ثمة فرق بين الرحلة كحركة مادية يقوم بها الرحالة، والرحلة باعتبارها أدبا يكتبه الأديب الرحالة، وهل ثمة تطابق بين الرحلتين الحركة والأدب، وما علاقة الخيال بالحقيقة الرحلية، وأيا من هذه الأمور تشكلت لدى أديبنا الرحالة الشيخ المهاجي، وماهي الموضوعات والأهداف

العامة والخاصة التي يحاول الرحالة تمريرها للمتلقي من خلال الرحلة ومن خلال السيرة؟ هذه الأسئلة وغيرها تحاول هذه الدراسة الإجابة عنها.

كثيرون هم الذين تضمنت رحالاتهم سيرهم وسير غيرهم، إذ نجد الكثير من الرحالة الذين دونوا ضمن رحلاتهم بعضا من سيرهم وسير الرحالات الذين التقوا بهم في مسارهم الرحلي أو حاوروهم في طريقهم أو ناظروهم ، نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر الشيخ آبي رأس الناصري المعسكري في كتابه"فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته".

ومن بين الدراسات السابقة التي تتقاطع مع موضوعنا، فن السيرة في الأدب العربي الحديث حياتي أحمد الأمين أنموذجا، وهي مذكرة لنيل شهادة الماستر،"السيرة الذاتية في أدب آسيا جبار"رسالة ماجستير للطالبة محمدي حبيبة، و"أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين(الرحلة الجزائرية أنموذجا) للطالبة بورقية مريم .والدراسات كثيرة في هذا الميدان.

ومن أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث،"فن السيرة"لإحسان عباس،"أدب السيرة الذاتية"لعبد العزيز شرف و"الأجناس لأدبية النثرية والشعرية المحفوظ كحوال"، "تظاهرات التشكل السير الذاتي"لمحمد صابر عبيد، "الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي لشوقي ضيف.

أما المنهج المتبع فقد حتمت علينا طبيعة الموضوع استخدام المنهج لتاريخي لأنه الأنسب للموضوع ولكون لمنهج التاريخي يتناسب لرصد الظاهرة وتتبعها، ولتوفقه مع سرد الوقائع والأحداث.

وقد اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع خطة تمثلت في مايلي:

مدخل وفصلين:فيما يخص المدخل كان بعنوان التعالق بين السيرة والأدب الرحلي، وقد عالجنا فيه طريقة التعالق هذه متطرقين إلى أهم نقاط الالتقاء بين السيرة والرحلة. أما الفصل الأول فكان بعنوان السيرة والأدب الرحلي.

وتضمن ثلاثة مباحث المباحث لأول يتحدث عن المفهوم والمسار والتطور للسيرة والأدب الرحلي.وتضمن ثلاثة مباحث المباحث لأول يتحدث عن المفهوم والمسار والتطور للسيرة، وتطرقنا فيه إلى مفهوم السيرة لغة واصطلاحا، وسؤال النشأة عند العرب وعند الغرب، والمسار وتطور أدب السيرة .أما المبحث الثاني فكان بعنوان مشكلة التجنيس في أدب السيرة ، وبحثنا فيه عن السيرة الذاتية والسيرة الغيرية ثم السيرة والاعترافات واليوميات، ثم دوافع السيرة الأدبية .

والمبحث الثالث كان بعنوان الأدب الرحلي المفهوم النوع والدافع، ويتضمن على التوالي مفهوم الرحلة ومسارها عبر المكان والزمان ثم بين الرحلة وأدب الرحلة بعد ذلك أنواع الرحلات ودوافعها(العلمية،والدينية،والاستكشافية).

وفي الفصل الثاني حاولنا تطبيق ما رأيناه نظريا فكان الفصل بعنوان تعالق السيرة بالأدب الرحلي في رحلة الشيخ الطيب المهاجي.وتضمن ثلاثة مباحث الأول يتناول تقديم الرحلة وصاحبها . وقد احتوى على عناوين فرعية وهي كالآتي الطيب المهاجي رحالة وأديب ثم ملخص الرحلة(الرحلات)، ثم دوافع كتابة الرحلة، والمبحث الثاني بعنوان تعالق الأدب بالسيرة في الرحلة وفيه

تطرقنا إلى تجليات السيرة في الرحلة والهدف من الكتابة، ثم التطابق بين الواقع والسيرة (الصدق/الحقيقة و الصراع) و المبحث الثالث الذي ضم المنهج والأحداث والشخصيات و تطرقنا فيه إلى الصدق والحقيقة والخيال والصراع.

وختمنا البحث بخاتمة كانت بمثابة جملة من النتائج التي توصلنا إليها. وكأي بحث لا يخلو من الصعوبات التي تعرقل مساره أو تؤخره عن الوقت المحدد له، ولكن لا توقفه، ولعلى من أبرزها قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع التعالق بين السيرة والرحلة.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بخالص الشكر وأسمى مشاعر التقدير والاحترام إلى الأستاذ المشرف على هذا لبحث يوسفي يوسف وعلى مجهوداته الجبارة وما أنفقه من وقت في قراءة هذا البحث من جهة، وما أسداه لنا من توجيهات من جهة ثانية، فهذا البحث مدين بالفضل الكبير إليه، فله منا جزيل الشكر وجعله الله نبراسا للخير، والشكر موصول إلى لجنة المناقشة التي ستثري هذا البحث بملاحظاتها القيمة التي لا تزيد البحث إلا قيمة.

تيارت يوم 2022/05/31

قعموسي سمية

قرواو أمينة

مدخل

إشكالية التعالق بين السيرة والأدب الرحلي

السيرة الذاتية هي مساحة نصية لأكثر من قراءة واحدة، تبهر الطلاب بطبيعة مكانها واندماج الحياة والتجربة الفنية وتشكل أسلوبا أدبيا وفنيا فريدا، فضلا عن توثيق الصلة بالحاضر و وسيلة دائمة لوضع العالم والإنسان في موضع التساؤل. حيث إن الإنسان رغم اختلاف المكان والبيئة والعصر واختلاف الفترات الاجتماعية والتاريخية إلا أنه في مختلف مراحل حياته يسعى جاهدا باحثا. وقد يلجئ أحيانا إلى كتابته وتدوينه وما يساعده في ذلك اللغة وهي الأداة التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم مجسدا ذلك في نصوص ."ونصوص ما هي إلا أثار فنية لا تكتفي بالإحالة على العالم ولا تهدف إلى تأملات ولإخبار عنه، وحسب بل هي إلى ذلك تتعدى في أشكال كلامية مختلفة فنية وتصطلح إلى أن تكون الذات الجمالية متميزة تضيف إلى الإفادة المعرفية عبارات وفق سبب لا تخرج عن قاعدتي في الإتباع ولإبداع "[1] .

حيث يظهر الإبداع في التعبير من خلال اللغة و لأسلوب في مختلف النصوص و يمكن أن نجد هذا في مجال الأدب باعتبار لأدب هو الصياغة الفنية لتجربة الشعورية. "حيث يتناول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية و الفنية و من القوالب العامة للأدب الأجناس الأدبية المختلفة كالرواية. واتضح لنا جنس أدبي آخر وهو السيرة حيث تعتبر هذه الأخيرة من بين الأساليب التي يستخدمها الشخص لرصد واقع معاش عن حياته أو حياة غيره. و نجد ذلك في بعض كتب التراجم والسير"[2]، فالسيرة كتابة مصورة لشخصية من الشخصيات تم فيها نقل تفاصيل حياتها والمحطات البارزة عنها .

و تشكل النظرية الأدبية والأنواع الأدبية علاقة بين النصوص الأدبية، حيث أن الأنواع التي تنتمي إليها هي إحدى المشاكل المستمرة في مجال أشكال الفن الأدبي بشكل عام، و لا تعد الاختلافات بين الأنواع الأدبية باختلاف المؤلف أو العصر أو المكان أو اللغة،و إنما على حساب هيكلهم الفني والطابع العام الذي يتطلبه.

---

[1] -جليلة الطريطر ، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، مركز البشر الجامعي مؤسسة سعيدان للنشر، 2004ص67.

[2] -ينظر:حسين مناصرة ،روائية السيرة الذاتية ،قراءة في نماذج سيرية سعودية ،مجلة علامات ،النادي الأدبي الثقافي،جدة السعودية ،م13،ج49سبتمبر 2003،ص346.

و من المعروف أن السيرة الذاتية "فن لا بمقدار صلتها بالخيال، وإنما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري وهذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقا من حيث صاحبه معني بغاية محدودة تهديه في اختياره وترتبه للحقائق. وهو كالروائي والقاص أيضا يحاول أن يكشف عن الصراع بين بطل سيرته والطبيعة وصراعه مع الناس والآخرين ومع نفسه وهو يحاول أن ينقل إلى القراء حقيقة ذات قبول عام ...".[1]

و منه يتضح أن الأدب موضوع شامل للعالم الإنساني والسيرة جزء من هذا الأدب. "و الحقيقة فيها أمر لابد منه في كتابتها من منطلق الأحداث الواقعة فهي وسيلة توصيل وتحقيق المعرفة المفروضة لذلك الشخص، كمصطلح تتطور فيما يتعلق بأنظمة المعروفة الأخرى"[2]، حتى يصعب التحكم في أراء النقاد والمؤرخين والاتفاق معها.

في هذه الجوانب طرح على العلاقة بين السيرة الذاتية والترجمة، لما بينهما من أوجه اتفاق واختلاف، على أن "الاصطلاح والاستعمال لهما صاحبا الفتوى في هذا، فقد جرت عادة المؤرخين أن يسمو الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نفس الكاتب فيها، فإذا ماطل النفس واتسعت الترجمة سميت سيرة"[3].

والتجنب الوقوع في فخ الخلط بين استخدام المرادفات للمصطلحين يمكن القول أنه في هذين الاتجاهين المختلفين ليس كل سيرة هي ترجمة وليست كل ترجمة سيرة ذاتية ."حيث إن لفظ السيرة ولفظ الترجمة كانا يدوران على معنى تاريخ الحياة وقد اتخذ التأريخ للفرد صورة مختلفة لدى العرب"[4] وذلك بناء على العلاقة التي تجمع بينهما.

---

[1] -إحسان عباس، فن السيرة، ط 2، دار الثقافة بيروت لبنان،ص90.

[2] -إحسان عباس،فن السيرة ،ص91.

[3] -محمد عبد الغني حسن: التراجم و السير، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980، ص28.

[4] -ينظر:يحي إبراهيم عبد الدائم ،الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت –لبنان،د،ط ،ت ص31.

تعتبر العلاقة بين الإبداع الأدبي وبيئة التاريخية من القضايا الصعبة بينما تعد العلاقة بين التاريخ والسيرة من أهم القضايا التي تسببت في الكثير من كتابات الكتاب والمفكرين مما يدل على أهمية السيرة الذاتية للتاريخ، وأهمية التاريخ للسيرة الذاتية.

حيث نشأت السيرة بنوعيها: الذاتية بكونها كتابة التي يتحدث فيها الشخص عن نفسه. والغيرية بكونها هي الأخرى نص مكتوب يتحدث فيه الكاتب عن غيره. "فالسيرتان هما مجالين للتعبير و صورة للحقائق الاجتماعية التي تطورت في حضن التاريخ. لذلك يتميز بشي من طابعه، و أحيانا يكون قريبا من النقطة التي يعتبرها بعض الباحثين لون التاريخ"[1].

حيث في كثير من الحالات نجد أنه عندما يحاول الباحث أن يعرف السيرة، يعرفها بأنها تاريخ الحياة، ومثال ذلك ما ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"السيرة تاريخ الحياة، ترجمة الحياة"[2]

فإن السيرة تقوم بسردها للوقائع لذا نجد للتاريخ الأثر أثناء تدوينها، نظرا لأهمية الوقائع التي حدثت للشخص في زمن من الأزمنة وهناك علاقة بين السيرة الذاتية والتاريخ إذا يقول إحسان عباس"كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع وأعماله متصلة بالأحداث العامة أو المنعكسة منها أو متأثرة بها، فان السيرة تحقق غاية تاريخية "[3]

تعتبر "النظريات الأدبية سلسلة من الأعمال مرتبة زمنيا تحتفظ بهوية معينة وهي أجزاء متكاملة من العملية التاريخية يجعل التاريخ يحكي أشياء قد وقعت"[4]، بمعنى أنه يمر بعملية نمو يمكن تتبعها، إن الأدب يهدينا إلى معرفة التفاصيل ويتدخل مع التاريخ لدرجة لا نستطيع الفصل بينهما.

---

[1] -إحسان عباس،فن السيرة ،ص11.

[2] -كامل المهند دس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في للغة و الأدب، ص115.

[3] -المرجع السابق، ص11.

[4] -ينظر:حنا عبود،النظرية الأدبية الحديثة ،والنقد الأسطوري إتحاد الكتاب العرب دمشق،1999،ص43.

يعتمد الأدب على التاريخ باعتباره المادة الأساسية التي يدرك بها العمل الأصيل و يساعد في تميزها من العمل المشتق. إن الجهل بالتاريخ يؤدي إلى الخطأ في فهم أعمال فنية بعينها. حيث يعتبر التاريخ العصبة التي تربط الأدب والإنسان بمحيطه و يبحث في الفعل ورد الفعل الصادر عن الإنسان. إن ماضي الشعوب وماضي الإنسان مليء بالصور من كل الأنواع وهو ثمين في كل أدواره سواء في أوقات المجد أو القوة أو الازدهار أو أوقات الكوارث والألم والشدائد، يجب أن يعرف الإنسان تاريخ تطوره وتاريخ أفعاله وتأثيره لفهم هويته الحقيقية والشعور بالانتماء .

فالتاريخ هو حقل تجارب فيه نماذج للأخلاق والوطنية والأمثلة الصالحة و القدوة الحسنة، يتقصى أحوال الماضين من الأمم وأخلاقهم والأنبياء وسيرهم والملوك ودولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء. وهذا يتطابق مع مقولة العلامة ابن خلدون:"أن التاريخ فن من الفنون التي تتدولها لأمم ولأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسموا إلى معرفته السوقة والإغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال (أي الرؤساء) ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذا هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال ، وتطرق بها الأندية، إذا غصها الإحتفال وتؤدي إلينا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال "[1].

ومن ذلك التاريخ جاء ليتسع للسيرة البشرية، فكل ما يقع من الإنسان أو يقع عليه في الماضي والحاضر، وكل ما يبنيه أو يهدمه داخل نطاق التاريخ يجعل الإنسان يفهم نفسه ومحيطه ويتنبأ بالمستقبل.

[1] –عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،مقدمة ابن خلدون،تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م كاترمير، ا لمجلد الأول، مكتبة علي مولا لبنان بيروت،1858،ص2.

يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي "أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم و رسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم و وفياتهم وموضوعه أحواله الأشخاص الماضية من الأنبياء و الأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم "[1].

إرتباط التاريخ بفن السيرة عند العرب بالتدوين و تأريخ لأعلام التاريخ وحفظ أيامهم وأحداثهم عن طريقة الرواية الشفوية ثم كتابتها "وليس هذا بإدعاء جاءت به العقلية العربية، لأن الارتباك والصعوبة بين المواد التاريخية الأصلية، والأساطير قد مر على كل الأمم المثقفة التي شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها، فلما شرعت في التدوين صدمتها هذه العقبة، عقبة التميز بين المادة التي يبنى عليها المؤرخ أحكامه التاريخية والمواد التي ابتدعتها العاطفة، واختلقها الخيال، واقتضتها الأحوال التي مرت بها تلك لأمة[2]".

ومن المناطق التي اجتمع التاريخ مع السيرة كان ظاهر في صورة واضحة في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، استقصاء للسنة، توفر رجال على جمع أخبار السيرة وتدوينها فكان "أقدم من كتب في السيرة عروة بن لزبير و الزهري بن العوام، وأبان بن عثمان ثم انتهى علم السيرة و المغازي إلى محمد بن إسحاق"[3]

يعد عروة بن الزبير أول من كتب عن السيرة وهو التعبير الذي استعمل فيه هيكلا محدد، ورسم خطوطها بوضوح. "وتبدأ خطته للسيرة بذكر بعض المعلومات عن زمن ما قبل لإسلام، والتي تتصل بحياة النبي محمد عليه صلاة وسلام ثم يتناول النواحي الهامة من الفترة المكية من حياة الرسول، ثم الهجرة إلى المدينة ويتناول المغازي وفتح مكة وبعض الأسفار التي أرسلها الرسول، والوفود التي قدمت إليه.

---

[1] -عبد المنعم ألجميعي :منهج البحث التاريخي ،ط1،القاهرة 1992،ص17.

[2] -عبد الرحمن حسية العزاري،الطبري السيرة التاريخ ،دار الشؤون الثقافية العامة،بغدد89 19،ص28

[3] -محمد سعيد رمضان البوطي،فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة ،ط10،دار المفكر ،دمشق،سورية ،1411ه-1991،ص26.

و يتحدث عن فعاليات أخرى للرسول عليه صلاة وسلام، ثم مرضه وانتقاله من الحياة. وراعى الزهري التسلسل التاريخي في حوادث السيرة وأعطى تواريخ الحوادث المهمة"[1]. و قد اعتمد على الحديث من أجل أخذ جل مواده عن السيرة.

و إبداعات عروة بن الزبير والزهري تلقى ضوء على بدايات الكتابة التاريخية ونطاقاتها مما يظهر أنه بالإضافة إلى السيرة كانت أهمية تجارب الأمة وخبراتها عاملا أساسيا في نشأة الكتابة التاريخية ثم إن التفسير مع كثرة الإشارات القران إلى شؤون المسلمين كان عاملا أخر"[2]

ولقد شهدت السيرة تطورا عبر العصور، فاستعملت بمعنى حياة الشخص بصفة عامة، ويظهر ذلك لنا من خلال ما قدمه صاحب كشف الظنون، من ظهور سير كثيرة منذ القرن الرابع الهجري، كسيرة "احمد بن طولون لابن الداية وسيرة صلاح الدين لابن شداد"[3]

تعالقات السيرة بالأجناس الأخرى:

الأدب مرآة تعكس حياة أمة و تتكامل فيها ثقافات الأمم. فالسيرة هي الصورة الحقيقية التي عبر بها الشعب العربي عن نفسه، ولن نستطيع أن نفهم حقيقة الشعب العربي ومكوناته دون فهمنا لأهمية هذه السير واحترامنا لقيمتها الأدبية. و الأدب ما هو إلا ظل يرافق الناس ولسان يترجم الأفكار وعينا ترصد السلوك ومنصة لتعبير عن التطلعات من الناحية الأدبية.

فالسيرة مجال مناسب لاستثمار هذه العلوم الاجتماعية و الإنسانية في الدارسة، حيث فتحت السيرة الذاتية الباب أمام الفن الإبداعي مما أدى إلى تهجينها مع الأنواع الأدبية الأخرى. و ظهور أنواع جديدة مماثلة لها نظرا لأن هذا الاهتمام هو نتيجة رغبة تطورية في مجال الحركات النقدية المتأثرة بحقائق الإدراك الحديث والتغير الثقافي .

---

[1] -المرجع نفسه،ص30.

[2] -أبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، تراجم رجال روى محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي، التاريخ الكبير ،ج3،جمعية دائرة المعارف،1941-1944،ص32.

[3] - الحاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الأستانة وكالة المعارف 1941م،المجلد الثاني ص1015.

فإن السؤال يعتمد على مدى أدركنا للتفاعل بين الثلاثية :(المبدع ، النص،القارئ)، و السيرة الذاتية ليست إستثناء في سياق تعالقاتها بأجناس أدبية بعينها، " فهي وإن نشأت مرتبطة بحياة الذات مراحلها العمرية لا تستعمل السيرة إلا مقرونة بالملحمة في كتابة السير والملاحم. حيث نجدها عند الشحاذ وفاروق خورشيد الذي يعتبرها مرحلة من مراحل تطور الرواية"[1]، "في حين عند نبيلة إبراهيم التي تصنفها ضمن القصص البطولية وتعتبرها ملحمة في بعض حينا"[2].

و السيرة أحيانا أخرى تتداخل مع غيرها من أنواع الكتابة مثل: المذكرات واليوميات والاعترافات و منها ما جاء في شكل رسائل مثل زهرة العمر لتوفيق الحكيم وغيره. وأخرى جاءت على شكل الحوار الداخلي وأدب الرحلة والتاريخ ما يؤكد أوجه تلاق بينها.

من أشكال الكتابة نقف على ما يسمى باليوميات. "فإن الإبلاغ عن الأحداث متقطع ويفتقر إلى الاسترجاع ويختلف أسلوبه في استخدام لغة قوية ونهج مركز يخضع فيها عرض الأحداث لسلطة الزمن اليومي، وتتقيد كتابيا بالظروف الزمكانية والنفسية والاجتماعية لكيفية اليوم الذي تسجل فيه يوميا.

وهي لا تعتمد على آليات السرد الإسترجاعي كما هو الحال في السرد السيرة الذاتية، لأن الزمن الحاضر الآني وهو الزمن المهيمن في اليومية"[3]. حيث يتم التحكم في عرض الأحداث حسب الوقت من اليوم و تلتزم كتابة بالظروف الزمنية والنفسية والاجتماعية .

بمعنى أخرى فإن" اليوميات تهتم بالتفاصيل ويغلب عليها الحس التاريخي، وتقدم الأحداث فيها متقطعة ولا تخضع لقواعد إبداعية مستقلة، فهي تترك مساحة للفرد كي يعبر عن أحداث أيامه

---

[1] -فاروق خورشيد،في الرواية العربية ،دار العودة ،ط3،بيروت ،لبنان،1979،ص09.

[2] -ينظر :نبيلة إبراهيم أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ،ط3،د،ت ص119.

[3] -محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ،قراءة في التجربة السيرة لشعراء الحداثة،عالم الكتب الحديثة،ط1،أريد الأردن 2008ص131.

ومجرياتها"[1]، لذا يبدو الاختلاف بينها وبين السيرة الذاتية متناسق علي إمتداد التجربة الحياتية نفسها، التي تكون أشمل و أوسع في الكتابة السير ذاتية.

وعند الحديث عن تعالق السيرة الذاتية ببعض من أجناس الأدب الأخرى، نتطرق إلى علاقتها "بالاعترافات التي يندفع فيها صاحبها بطريقة سردية استعادية إلى منطقة مثيرة وحساسة وخطيرة في سيرته الذاتية، يروي فيها مثال شخصيته وخطاياها وسلبياتها بأسلوب اعترافي صريح، وبهذا يمكن القول

إن السرد الإعترافي هو سرد سيري ذاتي يتقصد الإثارة والنقد اللاذع وتعرية الذات، مما يجعله يدور على المستوى النوعي في فلك السيرة الذاتية"[2]ومنه تكون الاعترافات فيه حرية وجرأة في أسلوب التعبير على أساسها تكون الكتابة .

أما الرواية فالتداخل بينها وبين السيرة الذاتية يصل إلى حد الالتباس، الأمر الذي أدى إلى ظهور أنواع أدبية هجينة مثل السيرة الذاتية والسيرة الذاتية الروائية. غالبا ما يركز النقاد على هذا السؤال للحصول على "فواصل دقيقة تميزه عن الرواية القائمة على سرد أحداث تخيلية أو واقعية أو كليهما معا، عبر دمج الأحداث وصهرها في بوتقة العمل الإبداعي".[3]

على الرغم من أن كل من الروايات والسير الذاتية تعتبرها انجازا مكتوبا يمتص خبرة الذات ويخدم كمواد للمحتوى فإن التميز بينهما يقتصر على معالجة هذه المادة بطريقة فنية، لأمر الذي يتطلب لإلمام بالفن والشكل من السرد والأسلوب إذا فات عقل المؤلف ذلك فسيكون ما يكتبه هجينا لا هو بالسيرة ولا هو بالرواية.

---

[1] – محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية ،قراءة في التجربة السيرة لشعراء الحداثة ،ص132،133.

[2] –المرجع نفسه، ص130.

[3] –أمل التميمي ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي بيروت ،ص 93.

تتجلى قيمة الموضوع الجوهري في تحديد الانتماء في السيرة الذاتية وكتابة الرواية كمؤشر للكشف عن العلاقات بين الأنواع الأدبية والنماذج الأصلية، ومن المنظور لا يبدو أن العلاقة المتداخلة بين هاتين السيرتين الذاتية نجد موقفا ثابتا لها دون الخوض في خصائص السيرة الذاتية نفسها، بغض النظر عن الآلية التي تعتمد على السرد الإستعادي من جهة نظر الباحثين هذه هي جوهر قضايا النوع الاجتماعي التي تحدد إسناد الأدب الروائي والسيرة الذاتية، وتشمل هذه الخصائص:

- ✓ تظهر الحياة الواقعية في محتوى أعمال السيرة الذاتية بعيدا عن العالم الخيالي.
- ✓ الوجود الأنا في بنية التجربة التي تغرسها.
- ✓ استخدام تقنيات تجاوز الزمن وتضيق المسافة يتم تقديم هذا النوع من الحياة ككتاب يمكن قراءته وتعلمه والاستفادة منه والاستمتاع به فنيا.
- ✓ عادة ما يكون العنوان الذي يشرح الانتماء لهذا النوع من النص مصحوبا بعنوان لتجنب أي ارتباك قد يضع القارئ في متاهة المعضلة الأجناس.

إذا "كان التحديد ألأجناسي هي استنتاج مبني على القراءة التاريخية لتراكم النصوص ضمن تنسيق معين في مجال فني معين. فإن "أدب الرحلة " له سماته وخصائصه المميزة، لما له من قدرة على الاستفادة من الفنون الأدبية الأخرى. و من خلال علاقة أدب الرحلي وفن السيرة الذاتية لا يمكننا تجاهل حقيقة إن الاختراق النوعي هو سمة مشتركة لكل نوع أدبي تقريبا، و أن اللقاء والتفرد الكامل لخصائص نوع أدبي معين"[1]وهو بذلك على وشك أن يصبح أسطورة نحن نفترض فقط أنه موجود .

إذا إن تمثلها يستحيل في واقع الأدب عند الدارسين كما يؤكد"بارتون جونسون"أن معظم الكيانات الأدبية الخالصة بخلاف الكيانات الصوتية، لا تحصر نفسها في تحديد صارم، إن الأبنية

[1] -ينظر:عماد حلو،القوى البحرية و التجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية ،دار الجنان للنشر والتوزيع ،عمان ،ط1،2017،،ص41.

الأدبية رغم أنها حقيقة ومفيدة دون شك، إلا أنها هجينة وأي مثال نقي لنوع أدبي هو طير نادر في حقيقة"[1]، عندما تتجاوز النصوص جنسها تتسرب إلى حدود النوع الأدبي في مدارات خارجة عن سيطرة المعايير الأدبية طالما هو على استعداد للانخراط في تفاعل مفتوح مع أي تجربة بشرية يمكنه إبقاء الأفق في انتظار القارئ من أجل تزويد أشكاله وبدائله بنص يخترق أي قراءة تتمتع باستقرار نسبي لي أي جنس مكتوب.

إن استقرار الميثاق ومعاييره هو ما يتوقعه القراء العاديون ومواقفهم تنتظر وضع التكليف به، وبعضها لا يغيب. كما يقترح "فيليب لوجون"أعظم المنظر في السيرة الغربية والمقترب من أدب الرحلات "إن الميثاق القرائي بوصفه ليس نص فقط و طريقة في القراءة بقدر ما هو نمط الكتابة، وإن تاريخ السيرة الذاتية ليس في النهاية سوى تاريخ طرائق القراءة التي يتعاقد عليها المؤلفون والقراء عبر التاريخ".[2]

يعتبر فن الرحلات من أهم الفنون المتعلقة بحياة الأفراد والأمم، حيث قال حسني محمود حسين "إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد إذا تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد، ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع قوة لمختلف العلوم. وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور"[3] وهي بذلك يشمل ظروف الحياة البشرية. "تحولات تجاه الكتابة في فن الرحلات إلى الاعتناء بسرد يوميات الرحالة ومشاعره وأفكاره وانتقاداته الشخصية، كما تحول الأسلوب فأصبح سرد قصصيا يتسم بالبساطة والسلاسة وبهذا انتقلت الرحلة من طابع الأدبي"[4]

---

[1] -رشيد يحياوي، الشعري والنثري في الأدب العربي الحديث، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2016، ص40.

[2] -حسن بحراري ، أنساق الميثاق الانتوبيوغرافي ، السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة أفق المغرب ،ع3،4،سنة 1984،ص40.

[3] -نوال عبد الرحمان الشوابكة :أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)،ص52.

[4] -سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، في العهد العثماني،مجلة التراث العربي،مجلة فصلية،ص48.

"إن الرحلة تتحول إلى الاهتمام بتلك المراحل التي يقطعونها الرحالة في طريقهم ومشاعرهم وأفكارهم، ويتعامل مع المراحل التي يمرون بها"[1]ويظهر ذلك من خلال الرحلة والمعالم التي يرونها و الحوادث التي يواجهونها.

وما بعد ذلك، و يتحدثون عن العديد من أفعالهم وتجاربهم الشخصية التي تجعل الرحلة تواجهها من نواح عديدة السيرة الذاتية الشخصية لصاحبها.

يعرف أدب الرحلة بمستواه الأدبي العالي ومجاله الجغرافي الواسع، من خلال الرحلة ابن بطوطة صاحب الرحلة الموسومة ب"تحفة الأنصار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"وبالتالي تدخل الرحلة نطاقا أوسع وتأخذ بعدا عالمي شامل. وهذا ما دفع الباحث شوقي ضيف إلى القول بأن:"ابن بطوطة لم يترك بلدا إلا نزل بها وتحدث عن أهلها وسلطانها وعلمائها وقضاتها "[2].

وهذا يعني أن ابن بطوطة يتمتع بميزة كبيرة في تطوير أدب الرحلات، وذلك بفضل رحلاته إلى مختلف البلدان والأقطار والتدوين عن شعبها وأهم علمائها وغير ذلك. و بالإضافة إلى هؤلاء الرحالة نذكر بالخصوص عبد الرحمان ابن خلدون، هذا الرحالة الذي اختلف حوله الكثير من العلماء، كون رحلته جاءت في ثنايا الحديث عن سيرته الذاتية التي دونها في مؤلفه التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا،كما يعتبر إضافة مثمرة في أدب الرحلة العربي.

إذ يقول عنه فؤاد قنديل:"لم يفرد لنا ابن خلدون كتابا مستقلا يتضمن وصفا للبلدان التي ارتحل إليها والأماكن التي زارها ومشاهداته، وما عاينه من الآثار، كما فعل غيره من رجال الرحلة أو الجغرافيا، لكنه جعل الرحلة جزءا من سيرته الذاتية التي سجلها باقتدار بالغ"[3].

---

[1] -ينظر :حسن محمد فهيم،أدب الرحلات ،دار عالم المعرفة ،الكويت ،1989.ص8.

[2] -شوقي ضيف:الرحلات فنون الأدب العربي(الفن القصصي)، دار المعارف، القاهرة، ط4،1119، ص98.

[3] .-فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة لدار الكتاب، 2002،ص538-539.

ويظهر من خلال ما سبق بأن ابن خلدون كان له مشاركة في أدب الرحلة العربي، وذلك أنه لم يصف البلدان التي ارتحل إليها فقط، بل جعل الرحلة تعكس جزء من سيرته الذاتية وذلك من خلال مزج بين الرحلة التي مر بها والسيرة الذاتية له. و لأن هذا الكتاب كان عبارة عن سيرة ذاتية الهدف منه هو:"التعريف به وبأحواله وظروف حياته منذ نشأته إلى ما قبل وفاته"[1]

بمعنى أن كتاب ابن خلدون كان عبارة عن وصف الشخصية ابن خلدون وأحواله وسيرته منذ الأول حتى ما قبل وفاته، إن وصفه لكل الأحداث التي مر بيها وكل ما شاهده وغايته من خلال رحلته يمكن أن نعده دخل أدب الرحلة. قد وصف عماد الدين خليل تعالق الذي يجمع أدب الرحلة بالسيرة الذاتية بقوله "فهو تجوال الأجداد وحصائد تجوالهم المترع بالرؤى والخبرات بعد أن جابوا الأفاق على ظهور الجمال والبغال، أو صهوات الخيول ويهدرون أعمارهم إستجاشوا مخزونهم وأحالوا التّجربة إلى لون من الإبداع الأدبي"[2].

يمكن القول أن الرحلة والحديث عنها جزء من كتابة السيرة. يقول في هذا الصدد عبد الله إبراهيم "أدب الرحلة رواية الشخصية المرتحلة ما وقع لها، وما شاهدت من أحوال الأمم الأخرى"[3] فكاتب السيرة وهو يكتب سيرتها و سيرة غيره بحقيقة وواقعية أنه يقوم بسرد ما جرى في فترة من الزمن، وقد يكون ذهب الرحلة في تلك الفترة فيتحدث عنها وما وقع فيها ومن هنا السيرة تتضمن الكلام الواقعي عن الرحلة في طياتها وبذلك يتضح التعالق بين أدب السيرة و أدب الرحلي .

وفي الأخير نستنتج أن الساحة الأدبية عرفت أعمالا أدبية تمكنت من الهروب والخروج عن القواعد التي تضبط وتحدد تميز الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، ومنها السيرة بعتبرها نوع يختلف عن غيره من الأنواع السردية، وهذا يرجع إلى وخصوصيتها وطبيعتها المتفردة جعلها تكون ملتقى كل النصوص .

---

[1] –فؤاد قنديل:أدب الرحلة في التراث العربي،ص539.

[2] –عماد الدين خليل: من أدب الرحلات، دار ابن كثير،د،ط،2005م،ص5.

[3] –عبد الله إبراهيم: موسوعة السرد العربي، قنديل للطباعة والنضر والتوزيع دبي –الإمارات العربية المتحدة ط1،2016م،ج3ص5.

الفصل الأول:

السيرة و الأدب الرحلي مفاهيم ودلالات وسؤال التجنيس

المبحث الأول: المفهوم، المسار و التطور.

1-التعريف السيرة لغة واصطلاحا:

أ-لغة:

تعددت التعريفات التي أسندت للسيرة في كثير من المعاجم حيث جاء في لسان العرب لابن منظور:"السير:الذهاب سار يسير سيراَ ويَّسياراَ ومسيرة وسيرورة...والتَّسيار: تَفْعالُ من السير، وسايره أي جاراه فتسايرا. و بينما مسيرة يوم. وسيّرة من بلده:أخرجه وأجلاه. وسيّرت الجل عن ظهر الدابة نزعته عنه. و السّيرة:الضرب من السير، والسّيرة:والسَّيْرَةُ: السنة، و الطريقة.

وأيضا:{لسيرة الطريقة، يقال:سار بهم سيرة حسنة،والسيرة الهيئة}[1].

وفي القاموس المحيط لفيروز أبادي:{والسيرة بالكسر:السنة والطريقة،والهيئة والميزة}.[2]

وفي المعجم الوسيط: سير فلان سيرة:حدّث بأحاديث الأولين كما وردت(السيرة) بمعنى السنة والطريقة، و السيرة الحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، و السيرة النبوية و كتب السير:"مأخوذة من السيرة بمعنى الطريقة، وأدخل فيها الغزوات وغير ذلك ويقال:قرأت سيرة فلان :تاريخ حياته (ج/سير)".[3]

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط:4،200 م ، مج7، ص:317.

[2] -الفيروز أبادي، قاموسا لمحيط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط:3،1999م،120/2.

[3] -المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر،2004، مادة:سار،ص465.

إن تقصي هذه الدلالة المعجمية يمنح للكلمة حضورها في نظام اللغة العربية، فهي محض تعدد في معانيها واستعمالاتها و إن بدا الأصل واحدّا، فقد تطابق تعريف (لسان العرب) و(المعجم الوسيط) القائل بأن السيرة مقرونة معنى بنقل أحاديث الأولين.

ب- الاصطلاحا:

تعددت تعريفات السيرة حسب النقاد الغرب والعرب لتعدد أشكالها وأقسامها المختلفة، ومن بين التعريفات نذكر تعريف "فيليب لوجون""الذي يرى لفظة "سيرة"تعني حسب الاستعمال مايلي: تاريخ إنسان "مشهور عموما"مروي من طرف شخص أخر. تاريخ إنسان"غامض عموما"مروي شفويا من طرف شخص أخر آثار هذا التاريخ من أجل دراسته. تاريخ إنسان مروي من طرفه شخص أو أشخاص يساعدونه عن طريق سماعهم على التوجه في حياته"[1].

من خلال هذه الاستعمالات التي ذكرها "لوجون" تحدد مفهوم السيرة: على أنها تاريخ إنسان كتب قصد التعريف به سواء كان هذا الإنسان مشهورا، أو إنسان غامضا وذلك للكشف عن سر هذا الغموض، كما يمكن أن تكتب هذه السيرة من طرف الإنسان ذاته، وبذلك السيرة مصطلح يدل على سيرة الحياة. أما السيرة في الاصطلاح العربي فهي "نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي ويراد به مسيرة حياة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصية"[2]

[1] -فيليب لوجون،السيرة الذاتية،الميثاق والتاريخ،تر وتقديم عمر حلي ،ط1،بيروت،1994،ص10.

[2] -عبد النور جبور،المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،ط2،لبنان،1984،ص143.

و هي بهذا التحري تقدم لنا حياة الشخص وتفاصيل حياته، لتنقل لنا تجاربه وآراءه للإفادة منها. فيما يعرفها "محمد صابر عبيد" على أنه "نمط سردي حكائي ينتظم في فضاء زمكاني محدد، يتولى فيه الراوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعية في مجال حيوي أو معرفي، فيها من العمق والغنى ما يستحق أن يروى ليقدم تجربة يمكن أن تثري القارئ وتخصب معرفته بالحياة من خلال الاطلاع عليه والإفادة منها"[1]، فكاتب السيرة غالبا ما ينتخب حلقات معينة من حياته أو حياة المترجم له مركزا على أبرز المنجزات المحققة. وكلمة سيرة ذكرت أكثر من مرة في القران الكريم في قوله تعالى:" قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى"[2] و قوله تعالى:"قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق"[3].

ولقد تعدد التسميات التي تطلق على هذا الفن فهناك من يطلق عليه مصطلح "ترجمة الحياة"،كما هو الحال عند "عز الدين إسماعيل"والذي يعرفها بقوله:هي الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين الأجلاء شخصيته والكشف عن عناصر العظمة فيها....وترجمة الحياة تتسع لتشمل جوانب العظمة وجوانب الانحطاط إن وجدت في الشخصية المترجم لها، فالترجمة تتسع لتشمل جوانب الانحطاط إن وجدت في الشخصية"[4]. لم يقتصر عز الدين إسماعيل في تعريفه على عناصر عظمة الشخصية المترجم أو المترجم له، بل ضم إلى جانب ذلك جوانب الانحطاط والإخفاقات.

---

[1] -محمد صابر عبيد: السيرة الذاتية الشعرية،قراءة في التجربة السيرة لشعراء الحداثة،عالم الكتب الحديثة،ط1،اريد،الأردن2008ص109.

[2] -سورة طه،الاية21.

[3] -سورة العنكبوت،الاية20.

[4] -عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه،دار الفكر العربي،د ط،القاهرة،ص165.

02- سؤال النشأة (عند العرب والغرب)

أ-عند العرب:

ترك العرب عدد هائلا من كتب التراجم والسير ولكن اختلف الباحثون حول أصل هذا الفن وبداية ظهوره في أدبنا العربي، فمنهم من يرى بأنه فن أصيل في الثقافة العربية، نشأ من عمق التجربة العربية ومن الإحساس بضرورة التعبير عن تجاربهم، ومنهم من يرى أن هذا الفن ظهر نتيجة الاحتكاك بالثقافة الغربية والاطلاع على نماذجها.

ومن بين الدارسين الذين يرون بأنه فن عربي خالص"عمر بن قينه"الذي يرى بأن هذا الفن ظهر بتأثير القران الكريم و لاسيما قصص الأنبياء والملوك والأقطار، فيقول: "فالسيرة كنوع أدبي إذن ذات نشأة دينية في طبيعتها تأثرا بالقران الكريم، وحرصا على تسجيل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم:غزواته وسنته".[1]فالسيرة حسبه فن متجذر في الثقافة العربية متأصل فيها رغم التغيرات التي طرأت في العالم رغم تأثر الكتاب المحدثين بالثقافة الغربية واستفادتهم منها في مختلف كتابتهم السيرية في العصر الحديث. ويذهب محفوظ كحوال إلى نفس الرأي فيقول:"كان العرب من الأمم السابقة إلى هذا الفن وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان العربي المتمثلة في ارتباطه بتاريخ أمته، والحفاظ على تواريخ أبنائها الأخيار، و أعمالهم الجيدة ولذا اهتم العرب في القديم بفن التراجم والسير اهتماما بالغا"[2]

فهو بذلك يربط ظهور فن السيرة في الثقافة العربية بالدافع الديني، بغية تسجيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأثاره للحفاظ عليها والاقتداء بها. و لذا اهتم العرب في القديم بفن التراجم والسيرة

[1] -عمر بن قينية:الأدب العربي الحديث،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،برج الكيفان-الجزائر،ط1،1999م،ص184.
[2] محفوظ كحوال :الأجناس الأدبية النثرية والشعرية ،دار نوميديا للنشر والتوزيع الجزائر ،د ط،2007م،ص:76.

اهتماما بالغا"[1] من خلال تعريف نجده قد ربط ظهور السيرة عند العرب بالدافع الديني نظرا لاهتمام المسلمين بتسجيل سيرة المصطفى عليه الصّلاة والسّلام وحبّا في وصول الإسلام للأجيال القادمة. ومن الباحثين العرب الذين عرّفوا السيرة الذّاتية أيضا محمد عبد الغني حسن إذا يقول:"التّراجم الذّاتية أو الشخصيّة: هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وأيام طفولته، و شبابه، وكهولته، و ما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعا لأهمية".[2]وعبد العزيز شرف الذي يقّول:"السّيرة الذّاتية تعني حرفيّا ترجمة حياة إنسان كما يراها هو".[3]يبدوا أن هذا الاهتمام على أهميته السيرة الذّاتية أدى إلى اختلاف بين الآراء في وضع مفهوم قارّ يتلاءم وطبيعة هذا النوع من كتابة، وقد استعصى تعريفها تعريفا دقيقا يرقى إلى مستوى لإجماع، إن تعدد التعريفات، بأشكالها المتعددة لا يعني بالضرورة ترجيح أحدها على حساب أخر، بل يمكن عدّها محاولات الإحاطة بمفهوم السيرة الذاتية.

ب–عند الغرب:

من الجلي لنا أن السيرة الذاتية قد نمت وتطورت واستوت جنسا أدبيا في أوروبا وهذا ما اجمع عليه معظم النقاد:"يتفق مؤرخو السيرة الذاتية إجمالا على القول بأن موضوع دراستهم قد نشأ في

---

[1] –محفوظ كحوال:الأجناس الأدبية النثرية والشعرية ،ص76.

[2] –محمد عبد الغني حسن:التراجم والسيرنص23،ومحمود أبو الخير،الترجمة الذّاتية في الأدب العربي،مجلة أفكار،العدد49،1980م،ص6

[3] –عبد العزيز شرف :أدب السّيرة الذّاتية،ط1،مكتبة لبنان،الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان،مصر،1992م،ص27

أوروبا"[1]،هذا ما جعل القواعد والأحكام، والشروط التي تنبني على السيرة الذاتية تتخذ من النموذج الغربي مثلا لها،لأنها المصدر الأم والمنبع الأساس لهذا الفن لذلك يعتبر أغلبية النقاد الغرب النص السير ذاتي الغير غربي شاذ، و يتبين لنا هذا في القول الأتي:"المحاولات السير الذاتية غير الأوروبية ينبغي أن تعامل على رأي "جورج ماي" معاملة النصوص الشاذة، تخفض ولا يقاس عليها".[2] ويضيف في السياق نفسه:"أن هذا الحكم التقويمي أو المعياري الذي لا يفتقر إلى بعض المبررات التي قد تغري بالأخذ به، و إن كانت لا تغري أبدا بتعميمه وإطلاقه هو في نظرنا حكم عرقي مترع ومحدود"[3].

فما مدى صحة هذا الحكم باعتباره حكم عرقي بدرجة أولى، خاصة وأن سبقهم الدائم إلي مختلف القضايا والكتابات لا يجعل من باقي الشعوب سوى تابعا لها حيث يذكر في موضع أخر:"فنحن نعتقد أن سبق الأوروبيين دون سواهم إلى الخوض في قضايا الكتابات المرجعية وخاصة منها الكتابة في السيرة الذاتية، واندفاعهم الكبير في التنويه بالآثار الفنية الممثلة لها في تراثهم ، وثقافتهم قد يكون من الأسباب الرئيسية في هذا الحكم العرقي".[4]

هذا دليل على أن الفضل في نظرهم هو السبق لا غيره، الذي جعل من السيرة خالصا، وصار نقدها والتأليف فيها يثير الجدل لكن الفضل الرئيسي هو إبراز هذا الفن بإشكاليات و مقومات تمنح للمتلقي إمكانية التطوير، فيضيف في السياق نفسه:"فهذا جورج ماي على سبيل المثال يحصر هذه

---

[1]-جليلة الطريطر:مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،(بحث في المرجعيات)،مركز النشر الجامعي،مؤسسة سعيدان للنشر 2004،ص102

[2]-المرجع نفسه، ص103

[3] -المرجع السابق، ص104

[4]-جليلة الطريطر:مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص105.

العوامل في عاملين أساسيين المسيحية و الفردانية الإنسانية"[1]، فالعامل الأول يقوم على أفعال نابعة من نفس الإنسان وقيمة التي على أساسها تنبني شخصيته وتتكون. و يضيف قائلا في تفسير للعامل الثاني:"يتعلق خاصة بتروع المجتمعات الأوربية إلى العلمنة، و اصطناع الفردانية في عصر النهضة بصبغة إنسانية"[2]. أي انتقال السيرة الذاتية إلى توجه عالمي بعد أن كان توجهها يحمل طابع ديني.

أما جورج قوسدروف "سعى إلى إعادة ربط جنس السيرة الذاتية بأدب الذاتية بأدب الذات، الذي هو أعم منه، مؤكدا على أن القطيعة التي كرسها النقاد بين هذين الحقلين الذاتيين قطيعة زائفة لا مبرر لها" [3].

فهو يصرح أنه لا فرق بين الجنسين (السير الذاتي وأدب الذات)، ربما لاشتراكهما في دراسة الذات، و يطالب بطريقة غير مباشرة بأسباب هذه المفارقة .

لم يتحدد مفهوم واضح جلي لفن السيرة، بل كانت كلها مفاهيم فضفاضة، فهناك من عرف السيرة على أنها "تعبير عن الذات"[4]، وتعريف أخر لتوماس كارل يل ورد كالآتي:"السيرة حياة إنسان"[5]، و هذا التعريف أيضا يترع إلى التعميم، و الشمول خاصة و أنه جنس حديث النشأة، أخذ يتطور وتظهر له أشكال و أنواع و خصائص، ومميزات كغيره من الأجناس الأدبية.

---

[1]-المرجع نفسه ،ص105

[2] -أنسبة نسبة إلى المذهب المعروف ب humanisme وهو مذهب فلسفي يتخذ من الإنسان في حياته الواقعية موضوعا له

[3] -جليلة الطريطر:مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص:106.

[4] -ساميا بابا:مكون السيرة الذاتية لرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ،دار غيداء للنشر والتوزيع،2011ص25

[5] -نبيل راغب:فنون الأدب العالمي،الشركة المصرية للنشر –لونجمان،الطبعة الأولى 1996،دار نوبار للطباعة –القاهرة،ص46.

أما فيليب لوجون الذي يعتبر أهم رواد هذا الجنس فقد كانت له عدة تعريفات أولها:"هو قصة ارتجاعية نثرية، يروي خلالها شخص ما (قصة) وجوده الخاص وذلك عندما يؤكد على حياته الفردية، وخاصة على تاريخ شخصيته"[1].

إلا انه فيما بعد أضاف تعريف أخر و وضع بعض التعديلات لسد ثغرات التعريف السابق، فصار كآلاتي:"قصة ارتجاعية نثرية يروي خلالها شخص واقعي وجوده الخاص وذلك عندما يؤكد على حياته الفردية، وخاصة على تاريخ شخصيته"، فبالمقارنة بين التعريفين السابقين، نجد أنه ركز في هذا الأخير على" عبارة (شخصية واقعية)، أي الابتعاد عن الخيال والشخصيات الخيالية، خاصة وأن ذكره في بداية التعريف لكلمة (قصة)يحيلنا إلى التروع للخيال"[2].

كما ورد لفيليب لوجون تعريف أخر و هو التعريف الذي استقر عليه،حيث عرف السيرة الذاتية على أنها:"تترع للصدق، وتترع إلى أن تكتب بضمير المتكلم، و إلى أن تتخذ وجهة نظر ارتجاعية، ولكن نظام التسلسل الزمني المعتمد في تقديم الأحداث يترع منها غالبا إلى التغير حين يقتحم فيه الكاتب مشاغله الراهنة أو هواجسه الشخصية المتنوعة ...تترع إلى الانتساب إلى الحقيقة "[3].

نلاحظ أن لوجون وضع عدة مقاييس ومعايير في هذا التعريف منها:الصدق الحكي الارتجاعي والتروع إلي الحقيقة. هذا ما جعل منه أكثر وضوحا ومحدودية. وعلى الرغم من التطور الكبير الحادث

---

[1] - المرجع السابق،ص12

[2] -جليلة الطريطر:مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص106.

[3] - نبيل راغب:فنون الأدب العالمي، ص27.

في السيرة الذاتية منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين في أوروبا، ورغم اعترافنا بهذا التطور، فإن ذلك لا يعطي للغربيين الحق في الادعاء "بأن السيرة الذاتية إنما هي جنس أدبي أوروبي خالص. كما ادعى (جورج روزنتال) و(جورج مش)"[1].

وربما كان السيد(دويت رينولدز)، منصفا مع نفسه ومنحازا إلى الحقيقة، عندما وقف مدافعا عن السيرة الذاتية في الأدب العربي، ضد تلك الادعاءات في مقال له بعنوان:"السيرة الذاتية في الأدب العربي، الفكرة المغلوطة عن الأصول الأوروبية وذلك حين يقول:"تبدو أفكار جورج و روزنتال هذه غريبة، خاصة عند النظر إليها على خليفة الأبحاث الأوربية في القرن التاسع عشر، التي احتل العرب فيها مكانة خاصة بفضل مفهومهم عن الفرد، خلافا لغياب الفرد في أوروبا ما قبل عصر النهضة"[2]

3-المسار والتطور في أدب السيرة:

أ-تطور السيرة الغيرية:

تعد السيرة الغيرية من الفنون النثرية القديمة المستحدثة، حيث شهدت الساحة الأدبية العربية حضورا ملحوظا لهذا الفن في السنوات الأخيرة ولعل هذا لتداخل كل من السيرة الغيرية مع أجناس أدبية أخرى، مثل:الشعر، النقد، القصة.ولقد نشأت السيرة في حقول التاريخ و إنبنت على الحس

[1] -رينولدز،دويت:السيرة الذاتية في الأدب العربي الفكرة المغلوطة عن الأصول الأوروبية ،مجلة الكرمل ،عدد76،سنة 2003،ص92.

[2] -رينولدز،دويت:السيرة الذاتية في الأدب العربي،الفكرة المغلوطة عن الأصول الأوروبية .ص89-101بتصرف.

التاريخي، حينما كانت حياة الفرد تشكل جانبا مهما من تصور الناس للتاريخ انطلاقا من الإيمان بأن{الفرد هو الذي يكيف الأحداث ويرسم الخطط}[1].

و السيرة الغيرية لا تتناول تاريخ وحياة الشخص من خلال منجزاته فحسب بل تتطرق لجوانب محيطة به من أحداث ومعارك وثورات، وغالبا ما يكون الشخص المتحدث عنه ذا شأن للأخذ من تجاربه الحياتية والفكرية والعلمية، ذلك أن" التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان ومسائله أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان"[2].

لم تقتصر السيرة على النثر فقط بل كان للشعر نصيبه في تدوين تاريخ بعض السير من هنا السيرة الغيرية الشعرية "سرد نثري يتولى فيه الكاتب تدوين السيرة الشعرية لشاعر منتخب يقتصر فيها على سرد الحياة الشعرية بكل معلقاتها التاريخية والحديثة والمكانية مع إغفال التطرق إلى جوانب السيرية الأخرى في حياته إلا بالقدر الذي يسهم في إغناء سيرته الشعرية وإيضاحها"[3] .

هذا يعني أنه يشترط في مثل هذه السيرة أن تكون تاريخ وإنجازات مهمة تدفع الكاتب لكتابتها، والقارئ لقراءتها والإفادة منها، في حين كانت هناك محاولات النظريات الحديثة في عزل النص الأدبي عن كل ما يحيط بالكاتب في إشارة إلى التضحية بالمبدع في سبيل النص في إطار ما يعرف بموت المؤلف إذ يتم وفقها عزل العناصر الإبداعية في النص وتحويلها إلى بنى جافة معزولة، غير أن فن السيرة

---

[1] -إحسان عباس:فن السيرة، دار صادر،ط1،بيروت/لبنان،1996،ص10..

[2] -فريد بن سليمان:مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي،تونس،2000،ص09.

[3] -محمد صابر عبير، تمظهرات التشكل السير الذاتي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،2005،ص208.

حال دون إتمام مقصد النظرية ذلك لارتباط السيرة المباشر ببيئة الكاتب أو بيئة الشخصية المكتوب عنه، ولعل القصد من السيرة إنما كان الاحتفاء بمجتمع يعرفه الكاتب ويربطه بالشخصية التي يكتب عنها في ظل عجز الفنون الأدبية عن تحقيق هذا الهدف،ومن بين الفنون السيرية التي لعبت دورا حاسما في تحقيق ذلك نجد السيرة الغيرية التي في مجملها تجسيد لبحث عن الحقيقة في النص.

ولا شك أن لعب السيرة الغيرية لهذا الدور لم يكن وليد الصدفة بل هو نتاج جهد مضن و مسار طويل حافل بالإنجازات، ومن بين النصوص السيرية المهمة في الميدان نجد:

السيرة النبوية: تعتبر اللبنة الأولى في الكتابة السيرية عند العرب ذلك لأن الاهتمام بسير العظماء والأبطال والأيام الخالدة من شيم العرب باعتبار أنها"لم تكن–ولن تكون– شخصية على وجه الأرض تركت أثرا عميقا وخيرا أبديا على صفحة التاريخ مثل ما ترك الرسول صلّى اللّه عليه وسلَّم".[1]

لقد بلغ الاهتمام بسيرة المصطفى صلى اللَّه عليه وسلَّم مبلغا كبيرا نتيجة لسببين هما:

قوله اللَّه عز وجل: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[2] فالاقتداء به واجب.

أن سيرة النبي صلى اللّه عليه وسلّم جزء من السنة والتي هي مصدر في التشريع الإسلامي لذا فلا بد من دراستها بدقة. ويعتبر كتاب السنة النبوية لابن إسحاق من أوائل الكتب التي تناولت السيرة

[1]–عدل عبد الغفور عبد الغني، مرويات عروة بن الزبير في السير والمغازي "جمع ودراسة "،رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية "دكتوراه" الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،1413ه –1992م ،ص19.

[2] –سورة الأحزاب،الاية21.

النبوية قال ابن سعد:"محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وألفها"[1]، ثم اختصرها ابن هشام، وللكتابين من الأهمية في كتابة السيرة مالا يوصف.

لتتوالى فيما بعد السير فمن سير الأموات مثل {سيرة أحمد ابن طولون} لأحمد بن يوسف الدابة وسيرة الخليفة {عمر بن عبد العزيز} وسيرة الأمام {أحمد بن حنبل} للعلامة ابن الجوزي إلى سير الأحياء كسيرة{صلاح الدين الأيوبي} في كتاب"النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "لابن شداد(ت632ه) يجد الباحث تراجعا في أساليب الكتابة السيرية "نعم إن السيرة أصيبت بما أصاب الأدب عامة بعد القرن السادس من تكلف والتواء نتيجة الضعف الذي هزَّ أركان الدولة الإسلامية ليخمد بريق السيرة الغيرية لفترة من الزمن"[2].

غير إن ظهور نظرية تداخل الأجناس الأدبية ساهم في عودة "السيرة الغيرية إلى الواجهة حيث تداخلت مع الكثير من الفنون الأدبية خاصة القصصية لتشكل لنا أعمالا سيرية خالدة" [3]ومنها سيرة ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة، الجاحظ لشفيق خيري، أبو نواس لعمر فروخ، الحسن البصري لإحسان عباس والكثير من الأعمال الأخرى.

---

[1] -ابن سعد،الطبقات الكبرى-تحقيق بشار عواد ،ط1،الرسالة بيروت،1413،ص401.

[2] -إحسان عباس،فن السيرة ،ص34.

[3] -المرجع نفسه،ص35.

ب-تطور السيرة الذاتية:

تباينت الآراء حول زمن نشأة السيرة الذاتية وذلك لاختلاف أوجه النظر إليها، إذ نلمح انقساما جوهريا بين الباحثين ومنذ ظهور هذا التجنيس الأدبي اهتماما كبيرا في الأدب العالمية عامة، والأدب العربي خاصة، فمنهم من يعدها فنا عريقا يحاكي "العقلية الإنسانية في مغامراتها من أجل البحث عن الحقيقة"[1] وقد تكشفت ملامحه الأولية أثر الترجمة الشخصية لتلك"الكلمات التي كان ينقشها القدماء على قبورهم، فيعرفون بأنفسهم. في حين اجمع بعض النقاد على إن للسيرة الذاتية بذورها في التاريخ تعود لقرون موغلة في القدم ومنهم ويل وايريل ديورانت الذي يرى إن هناك برديات من الأدب المصري القديم يرجع تاريخها إلى عام 200ق.م. تحوي بعض من السير الذاتية ومنها قصة ملاح تحطمت سفينته في البحر فهي "قطعة من ترجمة ذاتية تفيض حياة وشعورا" [2]،و"البرديات هي أوراق خاصة كان القدماء يستعملونها في الرسائل الموجهة للملوك"[3] وتتميز بسهولة حفظها.

في حين يرى"جورج ماي"انه من الصعب الاتفاق حول ظهور زمن السيرة الذاتية بالاستناد إلى تاريخ معلوم، فمثلا يرجع "باختين"أصول السيرة الذاتية إلى العصور الكلاسيكية (اليونان ثم العصر

---

[1] -ينظر،محمد صابر عبيد،تمظهرات التشكل السير ذاتي،ص135،

[2] -ول وايريل ديورانت،قصة الحضارة،تر:زكي نجيب محمود،الجزء1المجلد1،دارا لجيل للطباعة،ط1988،1،ص111.

[3] -سعيد مغاوري محمد:أبرز مجموعات وثائق البرديات العربية في العالم وأبرز الدراسات حولها،مركز الدراسات البردية والنقوش جامعة عين شمس،العدد الثالث ، القاهرة ،1996ص121.

الهيليني الروماني)، في حين اكتفى جورج ماي "بالبدايات المؤكدة لتدفق الكتابات الذاتية في القرن الثامن عشر، اعتمادا على المؤشر الظاهري الذي مثلته"اعترافات جون جاك روسو"[1]

أما "ريني ويليك" و"استنوارن فيريان": "أن السيرة نوع أدبي قديم، فهي من الناحية الزمنية والمنطقية جزء من التاريخ. إذ أنها لا تفرق من حيث المنهج بين رجل السياسة، والقائد والمهندس والمحامي أو الرجل المغمور ...."[2].

كما يؤكد على أنها نوع أدبي أصيل ثابت في الحضارة العربية الإسلامية، فيقول:"...فن عربي ثابت في تربة عربية، غير مستورد وإن استفاد الكتّاب المحدثون فيه من منهج التعبير الغربي وتقنيات الصياغة فيه"[3]، وينتصر لهذا الرأي"محمد عبد الغني حسن" في كتابه الذي خصصه للتراجم والسير فيقول:"فحين بدأ فن التراجم الظهور في انجلترا وفرنسا بصورة ساذجة،كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حدّا من الكثرة والتنوع وسعة المجال والافتتان في موضوعات التراجم لا يقاس به بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوروبية"[4].

ثم يستعرض الفرق بين تطور فن السيرة بين العربي والغربي فيقول:"في القرن الثاني عشر الميلادي كان كتاب"الاعتبار"للفارس العربي المسلم أسامة بن منقذ(488-514ه)يعدّ نموذجا عاليا للمذكرات والتراجم الذاتية، قبل أن يكتب تيبيس الانجليزي و ريتزا الفرنسي مذكراتهما لقرون "[5]،كما يتفق مع

---

[1] -ينظر ،عبد القادر الشاوي الكتابة والوجود(السيرة الذاتية في المغرب)،إفريقيا الشرق،المغرب،د ط،2000،ص15.

[2] -عمر بن قينة،الأدب العربي الحديث،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،برج الكيفان-الجزائر،ط:1،1999م،ص184

[3] -المرجع نفسه،ص:184..

[4] -محمد عبد الغني حسن،التراجم والسير،دار المعارف ،القاهرة –مصر،ط:3،د ت،ص:11.

[5] -المرجع السابق ،ص 12.

رأي "محفوظ كحوال"في إن نشأة هذا الفن في الثقافة العربية متصل بالسيرة النبوية،فيقول:"تعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية وأقدمها ظهورا وأولها و أولاها باهتمام المؤرخين والكتاب، فقد كانت المحور الذي تدور حوله حياة الإسلام ونشأته وانتشاره بالغزوات والفتوح"[1].

بينما هناك من يرى بأنّ هذا الفن دخيل على الثقافة العربية، ظهر عند العرب بعد اطلاعهم على النماذج الغربية في هذا الفن، لذلك يقول شوقي ضيف:"و إذا كان العرب في العصر العباسي عرفوا بعض ما كان عند الأجانب من هذه الترجمة، فأنهم في العصر الحديث عرفوا أيضا كثيرا ممّا كتبه الغربيون في هذا الباب"[2]، ومن أقدم النماذج التي اطلع عليها العرب وتأثروا بها يذكر شوقي ضيف ما كتبه الفيلسوف والطبيب اليوناني المشهور جالينوس الذي تضمنت كتبه الكثير من الإشارات والنوادر عن حياته، كما زعم أكسفورد و باسكال أن فن السيرة الذاتية يعود إلى أوربا وأن السيرة الذاتية أوروبية الجوهر وتمثل "اعترافات القديس أوغسطين (354-430)،أقدم سيرة ذاتية باقية"[3]، ثم كتب أعلام الفكر الأوروبي سيرهم الذاتية.

غير أن العصر الحديث شهد طفرة حقيقية في أدب السيرة الذاتية خاصة في الفترة ما بعد القرن السادس عشر ميلادي أي بعد كتابة مارغريت كامب لسيرتها الذاتية وحتى نهاية القرن التاسع عشر والتي شهدت التحاق العرب بركب الغرب إذ توجت بالكثير من الأعمال، فتعود أقدم صورة للسيرة" الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" ففيه يذكر صراعه بين التقليد والاختبار،ثم ينقطع هذا

---

[1] – محمد عبد الغني حسن:التراجم والسير، ص18.

[2] –شوقي ضيف :الترجمة الشخصية ،دار المعارف ،القاهرة –مصر،ط:4،1956م،ص9.

[3] –عبد الدايم يحي:الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص14-18 بتصرف.

الفن إلى أن يعود مع الشدياق في كتابه "الساق على الساق فيما هو الترياق"،بينما هناك من المؤرخين من يعّد كتاب "الأيام"لطه حسين أقدم ترجمة من هذا النوع باعتبارها أول نموذج يقدّم صورة فنية كاملة لهذا النوع الأدبي.

و من السير الذاتية المهمة في القرن العشرين" كتاب حياتي" لأحمد أمين الذي شكل علامة فارقة في هذا المجال بإتباعه أسلوبا تقريريا إخباريا عكس الأسلوب القصصي الخاص بطه حسين"[1]. و خلاصة القول إن فن السيرة بنوعيه قد استطاع أخيرا بسط هيمنته على سائر الأجناس الأدبية ليتربع على عرشها بفضل كوكبة من المبدعين الذين خلدوا بصماتهم في سجل التاريخ الفني والإبداعي.

[1] -ملكاوي فايزة :فن السيرة في الأدب العربي الحديث "حياتي"أحمد أمين،أنموذجا-مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص أدب عربي حديث،جامعة المسيلة 2013-2014،ص40.

المبحث الثاني: مشكلة التجنيس في أدب السيرة.

1-تعريف السيرتين:

أ-تعريف السيرة الذاتية:

يعد مصطلح السيرة الذاتية موضوع نقاش عند الباحثين حيث وجدوا صعوبة في تحديد مفهومه، ما أدى إلى تعدد السيرة الذاتية،حيث يطور كل كاتب تعريفا خاصا به، بناء على فهمه لطبيعة السيرة الذاتية، فمنها من عرفها على أن{السيرة علم وفن،فهي علم تاريخيا ومعرفيا،وأدب نوعا وشكلا}، فمن الناحية الأولى تتحرى تصوير الحقائق والوقائع التاريخية، و من الناحية الثانية تصاغ في أسلوب راقي وبخصائص فنية متميزة.

يعرفها"محمد صابر عبيد"بأنها:{نمط سردي حكائي، ينتظم في فضاء زمكاني محدّد، يتولى فيه الرّاوي ترجمة حياة ذات خصوصية إبداعيّة في مجال حيوي أو معرفي، فيها تجربة يمكن أن تثري القارئ وتخصّب معرفته بالحياة}.[1]

ويعرفها شكري المبخوت في قوله:"يعسر الظفر بحد جامع مانع للسيرة الذاتية" والمراد بهذه الظاهرة حسب جورج ماي إلى أن هذا الجنس الأدبي حديث نسبيا بل لعله أحدث الأجناس الأدبية".[2]حيث إن السيرة في تعريفها العام والمجمل هي عبارة عن بحث يستعرض فيه الكاتب حياته

---

[1] -محمد صابر عبيد، السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث،اربد،ط1،2007م،ص:109.

[2] -شكري المبخوت،سيرة الغائب سيرة آلاتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، دار الجنوب للنشر،تونس،د ط،1992،ص10

أو حياة بعض المشاهير، مبرزا من خلاله المنجزات التي تحققت في مسيرة حياته أو حياة المتحدث عنه.

وبالتالي:"فالسيرة جنس أدبي له تقنياته الخاصة به، لأنه يعتمد على الحقائق التي تصاغ في أسلوب أدبي، يستعمل فيه الخيال بقسط محدود وبما يتعارض مع عرض هذه الحقائق في حياة صاحبها ومن شأن هذا العمل أن يحدث متعة جمالية"[1]، فالسيرة من أهم الفنون الأدبية التي تسمح للكتاب بالحديث عن أهم تجاربهم في الحياة بكل واقعية و منطقية، و من هنا يمكن القول بان السيرة هي"صورة حقيقية للشخص نفسه لأي لحظة مهمة في الحياة، تتداخل فيها كثير من المعطيات الاجتماعية والسياسية والفكرية يعبر صاحبها عن الداخل والخارج معا".[2] و منه فإن السيرة هي حياة الفرد تعتمد على عدة وثائق كالمذكرات وليوميات التي من خلالها تكتب السيرة من دون كذب أو مبالغة.

ب-تعريف السيرة الغيرية:

هي "بحث عن الحقيقة في حياة إنسان قد كشف عن مواهبه وأسرار عبقرية من ظروف حياته التي عاشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله"[3]

[1] -عبد الحكيم محمد شعبان:السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مؤسسة العراق للنشر والتوزيع،عمان ،الأردن،ط1،2015،ص18.

[2] -فايز صلاح عتا منة:السرد في رواية السيرة الذاتية العربية،مؤسسة العراق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط1،2014،ص36.

[3] -عبد العزيز،أدب السيرة الذاتية،ص13-14.

والمقصود هنا هو سرد قصة إنسان متميز ومختلف عن البقية وذلك بوصف جوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته و لتفحص عن سر نبوغه وتفرده ومدى ذكائه الفذ وخيال الجامح و بأبسط لفظة يمكن القول أنها ترجمة لحياة الآخرين.

"والسيرة الغيرية أسبق زمنا من السيرة الذاتية لأنها ظهرت مع ظهور التأريخ والأدب فمنذ ظهور الحضارات،ظهر الكثير من الرجال الذين يعيشون في بلاط الحكام والسلاطين فراحوا يدونون ما كان يحدث في زمانهم من تطور ونماء فأرخوا للسلاطين والملوك وللحروب ومحاربين ورجالات الدول وان معظم هذه الأعمال تنطوي تحت مفهوم السيرة الغيرية"[1].

و يظهر من خلال هذا القول عن أسبقية السيرة الغيرية عن الذاتية، ومن بين أهم الخصائص والسمات الفنية الغيرية هي:

- ✓ ترتبط بالأحداث التاريخية .
- ✓ فيها قدر من الخيال غير المخل بقوتها وأهميتها.
- ✓ تتسم بأسلوب قصصي غير حر.

ومن خلال هذه الخصائص والسمات يتضح لنا بأن السيرة الغيرية بالرغم من أنها تكتب عن حياة شخص أخر إلا أنها تركز على كل الأحداث وكذا القضايا المرتبطة بصاحب السيرة. وهناك عديد

[1] -ندى محمود مصطفى الشيب،فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني(1992،2002)،درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا نابلس فلسطين،2006م،ص07.

من أنواع للسيرة الغيرية المتداولة حديثا منها:السيرة الغيرية والشعرية و القصصية الروائية والنقدية و قصيدة السيرة الغيرية وقصة السيرة الغيرية [1].

ومن خلال التعريفات السابقة لكل من السيرة الذاتية والسيرة الغيرية نستنتج أن هناك اختلافا بين كل منهما يكمن في "لأولى تعرض لحياة صاحبها فتعكس مشاعره وعواطفه ومواقفه من الحياة في صورة تستنبط أغوار النفس وخلجاتها، أما الثانية فتعرض لحياة غيرها من خلال الوقائع والذكريات واليوميات والمقالات والرسائل...الخ"[2]. لذا كانت السيرة الذاتية أو غل في الصدق وأوقع في النفوس، لأن مؤلفها صاحبها، فلا يوجد هناك وسيط لغرض أحداث حياته وأرائه ومواقفه في الحياة.

و "كلتا السيرتين لا تنتميان إلى عالم الأدب إلا إذا تحلتا بالأسلوب الأدبي الذي يعتمد على صدق الأداء ورصانة العبارة وروعه الألفاظ وجمال التصوير وقوة الصراع الذي يمنح السيرة الحركة والجمال"[3].

إن كانت السيرة تترجم حياته فهو يكتب أحداث حياته ويركز على ما تتميز به شخصيته كبيرة كانت أم صغيرة ويذكر كل الأحداث التي مر بها بكل صدق لأنه صاحب السيرة بأسلوب مقنع ومثير ومنه ينتج لنا نصا متماسكا ومتكاملا بينما السيرة الغيرية فهي تترجم حياة شخص أخر غير كاتبها وذلك من خلال ذكريات ويوميات ومقالات ورسائل وكل ما يتعلق بالشخص المراد الكتابة عنه، ومنه فالسيرة الذاتية هي الأصدق لان مؤلفها هو صاحبها.

---

[1] -ندى محمود مصطفى الشيب:فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني (1992.2002)، ص147.

[2] -المرجع نفسه،ص148.

[3] -المرجع السابق،ص149.

2-السيرة والاعترافات واليوميات:

- **السيرة والاعترافات:**

تعتبر الاعترافات مادة تندرج في الجنس الأدبي، وهي نوع من الكتابة الأدبية يفشي الكاتب من خلالها أسرار شخصية جديرة بالذكر، فهي أن يكتب شخص عن نفسه بكل صراحة. فكل شخص منا لديه محاسن ولديه مساوئ إذ لابد من أن تكون هذه الاعترافات صريحة وصادقة حتى لو كانت سلبية.

يرى ستيفن سبندر إن السيرة الاعترافية الذاتية تكون الذات"ذات معترفة" أي (خاضعة لسلطة الاعتراف دون ضغط من أحد)، ومن ثم فتنظر إلى كاتبها من الداخل، فكما يقول سبندر"فكل الاعترافات تنطلق من الذات إلى الموضوع، ومن الأفراد إلى المجتمع والعقيدة وحتى الحيوات الداخلية تكشف عن نفسها بلا خجل، تطرح قضيتها أمام نظام أخلاقي ينتمي إلى الواقع الموضوعي الخارجي، ومن الأشياء التي تبرهن عليها أكثر الرافضين للمجتمع على احتمال وحدتهم، وذلك لأن جوهر الاعتراف أن من يشعر فيه بنبذ المجتمع له يناشد الإنسانية أن تقيم جسرا بين وحدته وجمعيتها.

فقد تكون السيرة الاعترافية سجلا لتحولات الأخطاء في مواجهتها للقيم، أو سعيا للبحث عن تلك القيم المبتغاة.أو حتى محاولة تبرير الكاتب من خلال أدعاء غيابها والطعن في وجودها"[1] .

[1] -جورج ماي،السيرة الذاتية ،ص30

وقد تدخل في إطار هذا النوع "اعترافات القديس أوغسطين"حوالي 400ميلادية، وان كانت متوجهة إلى الكنيسة على الرغم ما فيها من تعارض في العقيدة المسيحية،حيث المسيحي"غير مطالب بمعرفة الله"[1]

ويرى ساميا بابا أنه"عادة ما يتخذ شكل السرد النثري الإستعادي، يقوم فيه المؤلف برواية مواقفه الخاصة، من تجارب نفسية أعاطفية، لا يطلع عليها أحد حتى أصدقاؤه المقربين، حين يتطابق الراوي والمؤلف والشخصية"[2] ومثلا على ذلك،نجد" اعترافات جان جاك روسو في القرن 18 ميلادي والذي يعتبر كرائد من الرواد الاعترافات"[3] وكانت اعترافاته باعثا قويا لنهضة أدب السيرة الذاتية.

ونذكر أيضا أهم الكتب التي اشتملت على الاعترافات واعتبرت سيرة ذاتية اعترافات تولستوي، حيث يقول عنها إحسان عباس:"فإن كان يعجبه أن يتعرف إلى النفوس الكبيرة و العبقريات الفذة في صراعها وتقلباتها و أخطائها، فهو واجد في اعترافات تولستوي وأشباهها ما يرضيه"[4].

- **خصائص الاعترافات:**

✓ "الاعترافات تجمع بين الصدق في التعبير والشجاعة في طرح والعمق في التصوير والتأثير في المتلقي.

[1] -المرجع السابق ص203.
[2] - ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية ص30.
[3] -عبد الدايم يحي ،الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص19.
[4] -إحسان عباس، فن السيرة، ص116.

✓ الاعترافات قيمة معرفية و إدراك في معرفة الله فالمعرفة هي الأساس و الباب الذي نهتدي به إلى الله.

✓ الاعترافات تحكي أطوار من سير الأدباء، فهي تعكس حياتهم"[1].

- **علاقة السيرة بالاعترافات:**

يجد النقاد أن السيرة الذاتية فن يصعب ضبطه، أو تصنيفه وهذا ناجم عن تعدّد أشكاله، وتنوع أساليبه وعلاقاته بالأجناس الأدبية الأخرى ليصبح التداخل بينها وبين الاعترافات أمر بديهيا. حيث نجد السيرة الذاتية تعلى من شأن الأعتراف ،وذلك أن الوظيفة الإعترافية هي التي تتيح للكاتب أن يفضي بمكنونات حياته في سيرته الذّاتية، ويتخذ منها وسيلة التعبير عن موقف ما في فترة معينة من حياته، وقد تتخذ الاعترافات السيرة منبرا للتعبير وتخفيف عبء الشعور بالذنب الذي يثقل كاهل صاحبها. ومن أشهر أمثلة هذا الشكل اعترافات القديس أوغسطين(حوالي عام 399)، والتي عرف بصفة عامة أنها مثال لسيرة ذاتية حقيقة .

يرى صادق العماري إن الذي يميز الاعترافات عن السيرة الذاتية هو أن كاتبها أكثر صراحة وجرأة في الكشف عن الذات والتصريح بالمثال وتبلغ هذه الصراحة والجرأة حد البوح بما يظن به الكاتب عادة ولا يكشف عنه من أحاث أو معتقدات أو ميول عاطفية أو جنسية أو مشاعر خاصة أو أخطاء أو أثار[2]

[1] -المرجع السابق،ص117.

[2] - ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية ص31.

- **السيرة واليوميات:**

يوجد أشكال أدبية لها صلة بالسيرة،مرتبطة بها ارتباطا وثيقا منها اليوميات، وهي "عبارة عن سجل للتجربة اليومية، والحفاظ على عملية حياة المرء بالذات، دون نظر إلى التطور الذي يحاكي نموذجا معينا أو التواصل القصصي، أو الحركة الدرامية نحو ذروة ما."[1]

وعليه يمكن القول بأن اليوميات لا تحتوى على حبكة درامية أو صراع بين الشخصيات والذي يؤدي في الأخير إلى بؤرة التوتر والتأزم، وبالتالي فاليوميات تعتبر من الأعمال الجامدة، لأنها تلتزم بتقنيات فنية بدرجة الإبداع. ومن اليوميات نجد يوميات صمويل بسبير مثلا،كثيرا ما تحقق التواصل، و لكنها تفعل هذا بصورة متقطعة، و بدون تخطيط واع.

وتتقاطع اليوميات مع السيرة الذاتية في تناولها ،سرد ما يتعلق بحياة كاتبها أيضا لكونها متقطع غير رتيب. وهي تفتقر بذلك إلى المنظور الإستعادي في القصّ، واللافت في أسلوبها اعتمادها لغة مكثفة و طريقة مركزة يخضع فيها عرض الأحداث"لسلطة الزمن اليومي، ويتقيد كتابيا بالظروف الزمكانية والنفسية والاجتماعية لكيفية اليوم، الذي تسجل فيه كل يومية وهي لا تعتمد على آليات السرد إلا استرجاعي كما هو حال في السرد السير الذاتي، لأن الزمن الحاضر الآني هو الزمن المهيمن في اليومية"[2]

[1] -ينظر:إحسان عباس، فن السيرة، ص44.

[2] -محمد صابر عبيد:السيرة الذاتية الشعرية، عالم الكتب الحديث، أريد، ط:1،2007م ،ص131.

لذا يعوزها تقنيا ترتيب زمن الأحداث تصاعديا، حيث يتم تدوينها منفصلة يوما بيوم مع رصد للأفكار والمشاعر وميل إلى التأمل الذاتي.

وفي إطار أخر، فإن "اليوميات تهتم بالتفاصيل ويغلب عليها الحسّ التاريخي، وتقدم الأحداث فيها مجزأة ولا تخضع لقواعد إبداعية مستقلة، بل تترك الحرية للفرد كي يعبر عن أحداث أيامه ومجرياتها. لذا يبدو الاختلاف بينها وبين السيرة الذاتية منسحبا على امتداد أفق التجربة الحياتية نفسها، التي تكون أوسع في الكتابة السير ذاتية. و يعود الفضل في انتشار هذا الفن إلى السير ويليام دوجدال في بريطانيا "[1]ذلك أن الانجليز اتصفوا بالفضول وحب المعرفة ولاستطلاع فكثيرا ما كانوا يهتمون بمثل هذا الأنواع الجديد.

- **خصائص اليوميات:**

تتميز اليوميات ببنية تكاد تكون مميزة لها عن كافة أشكال القص السيرى، فالأحداث التي تسردها اليوميات "تكاد تكون معاصرة لعملية تسجيلها، من خصائصها":

- ❖ اليوميات ذات فترة زمنية أقصر من تاريخ الشخص. بعكس السيرة الذاتية التي تمتد لحياة البطل أو على الأقل تشمل جزءا كبيرا منها.
- ❖ اليوميات دائما تكون أحداثها معاصرة للحظة تسجيلها.
- ❖ اليوميات لا تعتمد على كتابة تواريخ وأيام محدّدة، فهي تظهر عبر تقسيمات اليوم نفسه.

[1] -المرجع السابق،ص132.

❖ يغلب علي اليوميات الحس التاريخي، و هي أكثر إمتاعا من الناحية الفنيّة، وهي ذات أسلوب متحرر"[1].

- **الفرق بين اليوميات والسيرة الذاتية والعلاقة بينهما:**

تختلف اليوميات عن السيرة الذّاتية في أنّ الأحداث التي ترد فيها على شكل متقطع غير رتيب[2]،كما إنها تتسم بالقدرة على رصد المواقف عند حدوثها، وهي تفتقر تبعا لذلك إلى المنظور الإستعادي في القص.

و" تختلف السيرة الذاتية عن اليوميات من حيث المساحة الزمنية التي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التجربة. فتكون المساحة أوسع في السيرة الذاتية، وأما في اليوميات فهي أضيق ما تكون، ولكنها تمتاز بالدقة في نقل الأحداث والمواقف، إضافة إلى لحظية الحدث ومتابعته عند وقوعه. ومن يوميات العربية "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم"[3]. و إذا كانت السيرة تختلف عن اليوميات فيما سبق فإنها تتفق في أنها تسرد حياة أو بعض حياة شخص ما في مرحلة طفولته أو شبابه أو حتى شيخوخته.

3-دوافع السيرة الأدبية:

إن من الدوافع والأسباب التي تدفع الكاتب إلى كتابة سيرته الذاتية كثيرة سواء صرح كاتب السيرة بذلك أم لم يصرح، محاولا بذلك كتابة سيرته وترجمة حياته، حتى لا تضيع وتندثر. وهذه

---

[1] -جورج ماي،السيرة الذاتية ،مرجع السابق،ص157.

[2] -يحي إبراهيم عبد الدّايم،التّرجمة الذّاتيّة في الأدب العربي الحديث،ص3.

[3] -المرجع نفسه،ص10.

الدوافع كثيرة قد تختلف من كاتب إلى أخر. "الرغبة الفطرية بالخلود، وهده الرغبة تشتد عنده عندما يشعر بتفرد والتميز، ففي هذه الحالة يقوي إحساسه بأنه إنسان يستحق البقاء، وكذلك تشتد رغبته بالخلود، إذا شعر بدنو أجله، وقد يتول عنده ذلك الشعور لأسباب مبهمة أو لإصابته بالمرض مثلاّ"[1]

فحياة الكاتب النفسية مرتبطة به ارتباط وثيقا فهو يتأثر بها وهو الأخر يؤثر على محيطه ومجتمعه. و"يلاحظ بشكل عام أن الاتّجاه إلى كتابة التراجم الذّاتية يقوى ويشتدّ في عصور الانتقال وأوقات. الآن بعض النّفوس الحسّاسة، تشعر في مثل تلك الأزمان بأنها في حاجة إلى الملائمة بين نفسها وبين الظّروف المحيطة".[2]

ولا تقتصر حاجات الإنسان النفسيّة على طلب الملائمة مع الظروف المحيط فقط، فقد يمرّ الإنسان ببعض التّجارب التي تجعله بحاجة إلى إعادة الملائمة مع نفسه أيضا،فعندما يتعرّض الإنسان إلى ألم شديد،قد يشعر بالرغبة في إعادة النظر في كلّ الأحداث التي مرّت به، والشعور نفسه قد يصيب الإنسان، إذا امن أنّه أدى رسالته في الحياة.

ومن أكثر التجارب حثّا للإنسان على كتابة سيرته الذّاتّية، التجارب الرّوحيّة التي تهزّ أعماقه وتحدث في نفسه تغييرا جوهريا. قد يتجلى بتغيير مذهبه أو عقيدته "ولست أقول إنا التّجارب في الحياة لا تكون إلا روحيّة ولكنّ التجارب الرّوحيّة من أشدّها حثا على كتابة السّير الذّاتية".[3]

---

[1] -تهاني عبد الفتاح شاكر:السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002، ص25.

[2] - علي أدهم، لماذا يشقى ألإنسان،ط1،دار المعارف،القاهرة،1979م،ص264.

[3] -إحسان عبّاس،فنّ السّيرة،ص103.

وقد "يكتب الإنسان سيرته الذّاتية استجابة لدوافع خارجية، وهذه الدّوافع تتمثّل بالرّغبة في تعليم الآخرين وتوجيههم، وذلك يحدث عندما يرى كاتب السّيرة أنّ حياته تصلح لأن تكون عبرة للآخرين"[1] وتتمثل أيضا بالرغبة في الدفاع عن النفس، وذلك حين تتوجه أصابع الاتّهام إليه بسبب أفعال ينسب إليه عملها، ففي هذه الحالة يكتب سيرته ليبرر أفعاله أمام الآخرين أو ينفي قيامه بها.

و قد يلحّ الأصدقاء عليه لكتابة سيرته فيكتبها إرضاء لهم. ومن الجدير بالذكر أنّ وجود أيّ دافع من هذا الدوافع عند الإنسان، غير كاف لجعله يكتب سيرة ذاتيّة ناجحة، إذ أنه لابدّ أن يعيش المبدع في حالة من قلق، ينتج عنها الدافع الخلاّق الذي تحدث عنه نورثرب فراي في" كتابه تشريح النقد"، وعندما يصل المبدع إلى هذه المرحلة فانّه يبدأ بكتابة سيرته الذّاتية، ليخفف العبء المتلقي على كاهله، وإذا استطاع انجازها، فانّه غالبا ما يصل إلى حالة من الاستقرار والرّضا.

ونستنتج في الأخير أن وجود الدوافع في السيرة الذاتية أمر لابد له أن يكون، فلكل كاتب دوافع خاصة به تجبره على كتابة وتجعله يبوح بمكنوناته، وتدفعه إلى إفصاح عما يجول قي خاطره.

[1] – إحسان عبّاس، فنّ السّيرة، ص103.

المبحث الثالث: الأدب الرحلي المفهوم/النوع/الدافع.

1-تعريفه لغة واصطلاحا:

أ-تعريف لغة:

يتم ضبط مفهوم الرحلة لغة:بحركة التنقل من مكان إلى آخر. تعتبر هذه أهم ميزة يعتمدها لسان العرب، الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال ، يقال رجل الرجال إذا سار[1]، فالرحلة هنا جاءت بمفهوم السير والضرب في الأرض وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر"و الترحل والارتحال الانتقال وهو الرحلة والرحلة اسم الارتحال".

وجاءت الرحلة بمفهوم أخر بمعنى الجهة التي يقصدها لإنسان "الرحلة الارتحال. و الرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم"، كما تطلق الرحلة أيضا على السفرة الواحدة "الرحلة السفرة الواحدة"[2].

و نجد كذلك مفهوم رحلة في قول "أرحل فلان:كثرت رواحله فهو مرحل...، و الرحال: العرب الذين لا يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى"[3]وهنا تدل على عدم الاستقرار والثبات.

ومما سبق تتطرق إليه في تعريف الرحلة نستنتج أنها جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه. وبمعنى الغاية المراد الوصول إليها، أو اقتراب وقت الرحيل.

---

[1] -ابن منظور:لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة و النشر ،ص276

[2] -المرجع نفسه،ص279

[3] -إبراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،تحقيق:مجمع اللغة العربية،ج2،دار الدعوة،د ت،ص334،335.

ولهذه المعاني كلها كانت كلمة رحلة يطلق على من انتقال من مكان لآخر. منه أخذت كلمة رحال: و هو الشخص المنتقل من مكان لآخر.فالإنسان الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه، وانتقل إلى مكان أخر، وسافر من موطنه لام وقصد هدف أخرى غير موطنه وسار إليه، لذا كانت كلمة رحلة أكثر شمولية ما يطلق على المسافر من مكان إلى أخرى ،فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة.

ب-التعريف لاصطلاحا:

تعتبر الرحلة الموطن الذي يحكي فيها الرحّالة أحداث سفره وما مرة عليه من مشاهد وما قد عايشه فيها حيث يجعلها صلة بينه وبين الذاته ويجعله مرتبط بمكان المرتحل إليهم، ومن" شروط التي يجب أن تقتصر عليها أدب الرحلة أن يكون الرحّالة ذا مستوى ثقافي معين يؤهله ويمكنه لنقل أحداث سفره إلى الكتابة"[1].

يرى أنور لوقا أن الرحلة "تمزج التسجيلات الوصفية والإنشائية التعليمية بالحكائية والتسجيلية"[2] وهي بذلك تدوين كل ما يره في رحلته يصفه من خلال كتابته. حيث يعرفها الباحث سعيد يقطين:"خطاب الرحلة"، و يقول بأن عملية تلفيظ لفعل الرحلة[3].

---

[1] – لعواطف محمد يوسف نواب ،الرحلات المغربية والأندلسية ،دراسة تحليلية مقارنة ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،1996،ص41.

[2] –سعيد علوش، الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية، الصورة الشرقية في الذاكرة الغربية، ضمن مجلة"الثقافة الأجنبية"(محور أدب الرحلات)،بغداد، العراق، السنة التاسعة، العدد الثالث،1989،ص15.

[3] –سعيد يقطين،السرد العربي مفاهيم وتجليات،ط1،رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،2006، ص200.

يبنما المعنى الأول هو الرحلة ذاتها، ولهذا نجده يتحدث عن الرحلة وخطابها، ويرى أن خطاب الرحلة"يتماشى مع الرحلة وعوالمها، ويسعى إلى مواكبتها من البداية إلى النهاية[1]" فيبدأ الخطاب من لحظة الخروج وينتهي لحظة العودة.

و الرحلة في مفهومها البسيط، هي ذلك الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان إلى مكان أخر على رغم من اختلاف دفعها سواء كان نفسي أو جماعي ومهما كان الزمان والمكان ولا حتى المسافة. "فالرحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، قد لا تتجاوز مسافة قصيرة في بعض الأحيان وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطوال المسافات بين المكان والمكان الآخر"[2].

وهذا قد يدفعنا إلى تعريف أكثر شمولية وأكثر عمق يمكننا من تعريفها على أنها "انتقال ضمن الفضاء الجغرافي والزمني التاريخي، وهي انتقال أيضا ضمن نظام اجتماعي وثقافي"[3]، وهذا يقودنا إلى أن الحركة هي الأساس التي تنبني عليه الرحلة، و إن هذا الخطاب يتماش مع انتقال الرحّالة في أماكن متعددة ومختلفة، حيث يصفها من الجانب جغرافّي وعمراني واجتماعي وبشري وهي بذلك تعتبر تجربة يحياها الرحالة سواء كانت أهدافه فردية أو جماعية من أجل فائدة سواء كانت مادية أو تعدتها لتصل إلى فائدة روحية وجدانية.

---

[1] -سعيد يقطين،السرد العربي مفاهيم وتجليات، ص200.

[2] -صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، دار منشأة المعارف الإسكندرية مصر،ط1999،2،ص7.

[3] -دانيال هنري باجو، الأدب العام والمقارن،ترجمة غسان السيد،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،د ط د ت،ص49.

ج–مسار الرحلة عبر الزمن:

إن طبيعة الحياة ومتطلباتها تفرض على الإنسان أن يعيش حياة قوامها الحركة والانتقال، ويقوم على مسارهم الذي يتطلب السفر والارتحال، إن حكمة الله عز وجل أن لا يجمع الخيرات والمنافع في مكان واحد، أو عند قوم بعينهم بل جعلها متفرقة على اختلاف الأجناس والأمصار، فجعل الحكمة في التعارف الشعوب فيما بينها دافعهم لتبادل المنافع ولن يدرك ذلك إلا من خلال الانتقال والسفر، وهذا ما نتج عنه منافع البشر وتوسع لثقافتهم ونمى معارفهم ونوع تجارهم في حياة.

أن الرحلة تصوغ حكمة الأمم والشعوب وترتسم فيها تجارهم و وصفت جزء كبير من حضارهم الشعوب الأخرى. حيث يثبت التاريخ أن المصرين كانت لهم رحلات "منذ منصف الألف الثالث قبل الميلاد. رحلات متعددة في البر والبحر في عهد الأسرة السادسة في عهد الملكة حتشبسوت من ملوك الأسرة وهي عائدة من رحلتها إلى بلاد بونت في الجنوب "[1].

ثم جاء من يخلف المصرين حيث ظهر الشعب الفينيقي إلى الواجهة الصورة، حيث كان " هو صاحب حكم الأول في الملاحة البحار، فقد قام هذا الشعب برحلاته البحرية التي تمكن فيها من إستلاء على مرافئ بحر الروم، وعديد من الشواطئ الأوربية الغربية واكتشاف بعض سواحل الإفريقية الغربية"[2].

---

[1] –شوقي ضيف، الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي، دار المعارف، النشر والتوزيع ،القاهرة ،ط4، 1119ص6.

[2] –أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط1،1961،ص7.

و لم تتوقف الرحلات بل ازدهرت أكثر حيث خلفهم الإغريق. فقد قاموا برحلاتهم في جميع أنحاء الأرض المعروفة عندهم، وقد أنشأ الإغريق مستعمرات لهم في سواحل آسيا الصغرى وإيطاليا. و قد تركوا لنا موروث قيم في جغرافيا، وصفوا من خلالها الأقاليم و البلدان التي مرو عليها."وقد اشتهر منهم بالرحلات هوميروس الذي أغري بركوب البحر، وبعد عودته نظم الإلياذة و أوديسة"[1]

ثم خلفهم اليونانيين "حيث يود كسوس هو أول يوناني قام برحلة ساحلية من هذا القبيل، ثم خلفه هبا لوس وهو الذي اكتشف كيفية الاستفادة من الرياح الموسمية في رحلة الذهاب إلى الهند"[2].ثم جاء بعد ذلك الرومان وأصبحوا سادة الدنيا بعد اليونانيين، وقد وصلتنا بعض رحلاتهم من خلال أبناء هذه السفرات والرحلات جملة من الراويات التي قصها مؤرخوهم في كتبهم.

وجاء بعد الرومان، العرب المسلمون الذين بسطوا فتوحاتهم "وربطتهم علاقة تجارية مع الصين وبعض البقاع الروسية ،وجبال البرانس، ومن التركستاني وجبال القوقاز إلى السودان" [3]، وأدى ذلك إلى تكوين عالم واحد مشترك في الدين والثقافة.

لقد عرضت كتب المؤرخين أن" العرب منذ ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة واسعة، تنقلوا و ارتحلوا خارج أوطانهم برا وبحرا، ويمكن أن يكون عرفوا الملاحة والإبحار منذ القدم"[4] .

---

[1] – أحمد أبو سعد،أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ص 8.

[2] –المرجع نفسه ،ص9.

[3] –شوقي ضيف،الرحلات فنون الأدب العربي الفن القصصي،ص8.

[4] –جواد علي:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،الناضر ،ج1،الدار الساقي الطبعة الثانية ،1413ه–1993م،،ص158.

وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب أفريقية في شمالها وشرقها وأيضا في شرق الجزيرة حتى وصلوا إلى الهند وما وراءها، وقد ظهر ذلك في بعض المصادر التي ذاكرها لاسكندر الأكبر الذي كان يفكر في غزو الجزيرة العربية. و أنه رأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي، حتى يتمكن من أن يقطع صلاتها بأسواقها في إفريقيا والهند، وهي الأسواق الرئيسية التي مونت العرب بالثراء، حيث كان يسعى إلى أن يقطع التجارة على مستوى البر والبحر، التي كانت تأتي من الشرق إلى أسواق مصر أو الشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل، ومن هناك تنقل إلى أوروبا" [1] .

وقد كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة في مناطق العراق والشام واليمن، إلا أنه لم تدون إلا القليل منها التي وجدت في الشعر وكتب للغة. و قد ذكر في القران الكريم رحلات قريش في قوله تعالى"لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف "[2]. يقول شوقي ضيف :"إن الإنسان ولد راحلا، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثا في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر"[3].

ومن خلال قوله يظهر أن للإنسان من منذ ولادته حتى وفاته ما هو إلا في رحلة و تعددت رحلاته منها العمرية من سن إلى سن ينضج فيها ومن مرحلة في علم إلى مرحلة أخرى يتسابق فيها مع الزمن من أجل أن يصل .

---

[1] -ينظر:جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج8،دار العلم للملايين بيروت 1970،ص76.

[2] -سورة قريش، رقم الآيات1-2.

[3]-شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف القاهرة، ص3.

وقد جاء الإسلام و ازدهرت الرحلات أكثر من ذي قبل،كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، حيث نجد في كثير من آياته يدعونا الله عز و جل إلى السفر و الترحال، يقول الله عز و جل: ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا (1) بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1]. وقوله أيضا: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

من خلال هذه الآيات الكريمة أن الله غز و جل توجه بدعوات إلى المسلمين للسعي ،في الأرض والسير في البر وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيدا، وكانت هذه الدعوة تشجيعا وحثهم على تحمل مشاقة السفر ،وانتفاع بالأنعام التي منها الله عليهم ن وكذلك حثهم على حمل للواء تبليغ الرسالة ونشر الدعوة، ولن يحدث ذلك إلا من خلال السفر وتنقل من منطقة إلى أخرى وقطع المسافات طويل إلى الشعوب لأخرى مهما اختلفت بقعهم ومناطقهم شرقا غربا شمالا جنوبا.

2-بين الرحلة وأدب الرحلة:

إن الأدب شمل في مواضيعه العالم كله، حيث أنه مجالا يقدم فيه المواضيع المختلفة لعلى أهمها الرحلة. التي تحتوي هي الأخرى على موضوعين كبيرين هما الأدب من جهة و الرحلة من جهة أخرى، وإذ كان الأدب عموما يحمل في طياته مصدرا يتغذى به مجموعة من العلوم كالجغرافيا و التاريخ والاجتماع و الاقتصاد و الإثنوغرافية. فإن الكاتب يتقصى المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية و التصوير المباشر. بالإضافة إلى كون الرحلة أدبا فهي " تشكل باقة من الأجناس الأدبية التي

[1]-سورة النمل،ا رقم لاية63.

[2] -سورة الإسراء، رقم الاية70.

تتداخل وتشترك معها في عدة خصوصيات كالسيرة الذاتية. والتراجم والحكايات والرسائل والتصوف والكرامات والشعر، بل هي تتسع لأكثر من ذلك فهي من فنون القول الذي يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد"[1]

إن كاتب الرحلة يتحدث عن المكان والزمان والمجتمع ويدون كل ما مر به فإن الرحلة بمثابة المرآة العاكسة والصورة الواضحة لسفر الشخص. و هذا يدفعنا للقول أن الرحلة حقل معرفي واسع ضمت الأدب و هذا ما جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عن أدب الرحلة بأن" أدب الرحلة هو مجموعة الأثار الأدبية تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة. و قد يتعرض فيما يراه من عادات وسلوك وأختلاف ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة أو يجمع كل هذا في آن واحد"[2]

وهنا تكون شمولية المواضيع و ارتباطها أساس كتابة الرحلة فنجد "أدب الرحلة فن من فنون القول العرب بصف مجالات الحياة عند الرحالة الذي سجل رحلته أو حكاها لغيره ثم سجلها"[3]

3-أنواع الرحلات:

تنوعت الرحلات عبر العصور فقد صنف صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام، وهي رحلة التجارة و رحلة الجهاد و الرحلة السفر، و الثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام، وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم، ورحلة التجوال و الطواف.[4]

---

[1] -عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث درا النشر وطباعة هومة سنة 2017.ص16.

[2] - مجدي وهبة معجم المصطلحات العربية في اللغة ولأدب كامل المهندس لناشر مكتبة لبنان، الطبعة الثانية1984، ص17.

[3] -أسماء أبو بكر ابن بطوطة الرحل والرحلة،دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ، بيروت،1992، ص11.

[4] -صلاح الدين على الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميداني، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية ،1989،ص112-114.

يقول صلاح الشامي في هذا الصدد:"أن الرحلة اعتبارا من القرن السادس الهجري، انطلقت على أوسع مدى و تجاوزت ديار المسلمين، على أمل أن تحقق أهدافا متنوعة، اقتصادية وهي تعمل لحساب التجارة، ودينية وهي تعمل لحساب فريضة الحج، وإدارية وهي تعمل لحساب العلاقات بين الدول الإسلامية و مجتمع الدول الخارجي، وعلمية وهي تعمل لحساب العلم وطلب المعرفة"[1]. في حين يرى محمد الفاسي تعددا آخر في تصنيفه أنواع الرحلة، حيث وصلت إلى خمسة عشر نوعا وهي الرحلات:"الحجازية، السياحية، الرسمية، الدراسية، الأثرية، الاستكشافية، الزيارية، السياسية، العلمية، المقامية، البلدانية، الخيالية ، الفهرسية، العامة والسفارية.[2]

يمكن إدراج الكثير من هذه الأنواع تحت عنوان واحد شامل كالرحلات الرسمية التي تضم السياسية والسفارية، و يمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا،كالرحلات العلمية، الدينية، الرسمية والتجارية"[3].

4-دوافع الرحلات:

تتعدد الرحلات وتتعدد معها الدوافع، التي تشجيع الإنسان وتكون له حافز من أجل السعي والوصول إلى وجهته وهي تختلف من شخص إلى آخر وهي كثيرة و متنوعة قد تكون:

---

[1] – صلاح الدين على الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميداني،ص114.

[2] –محمد الفاسي، الرحالة المغاربة وآثارهم،ج2،دعوة الحق،ع:3،س:2،دجنبر1958،ص22.

[3] –محمد بن عثمان المكناسي،الإكسير في فكاك الأسير،تحقيق محمد الفاسي،المركز الجامعي للبحث العلمي ،المغرب د،ت،من المقدمة.

أ-رحلة بدافع ديني :

هي الرحلة التي يكون الدافع منها وهدفها الأساسي هو الذهاب إلى أداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول عليه صلاة وسلام وسائر البقاع المقدسة في مكة والمدينة، حيث تقوم الرحلات الدينية بالوصف مناسك الحج من إحرام وطواف وسعي وغيرها وبيان طريقة تأديتها.

كما تقوم على وصف مراحل الرحلة بما تحتويه من عوائق و صعوبات، مع التعرض لآراء العلماء والفقهاء في المسائل المتعلقة بفريضة الحج ومناسكها"[1]

ب-رحلة بدافع علمي:

إن الرحلة العلمية هي التي تكون لطلب العلم بالذهاب إلى أماكنه ومواطنه والالتقاء بأهله وخاصته بغرض الاستزادة من العلم.و هذا ما يظهر عند الطالب الجزائريين الذين سعوا إلى طلبه في جميع أنحاء المعمورة "فكان طلب العلم من أهم الأسباب التي أدت للهجرة إلى خارج الجزائر، فتراجع حركة التعليم وانعدام مراكز علمية معرفة كالأزهر الشريف والقيروان والحرمين الشريفين والزيتونة،جعلت الجزائريين يتحملون عناء السفر و الترحال من أجل الجلوس إلى أهل العلم والأخذ عنهم وبالتالي الحصول على الإجازات العلمية، و غير أن هذا لا يعني أن كل مهاجر من الجزائر كان هدفه طالب العلم بل هناك من سافر إلى الخارج رغبة في تدريس العلم وتلقينه "[2]

---

[1] -ينظر:زوهري وليد:أدب الرحلة الجزائريين إلى مكة والمدينة،دراسة وصفية تحليلية،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،ماليزيا-الجامعة الإسلامية العالمية ،السنة 3، ع1،جوان2012،ص151-152.

[2] -بوشنافي محمد :هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني(1520-1830)، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع04، ديسمبر2009، ص100.

ج-رحلة بدافع استكشاف:

تقوم حركة الإنسان على دوافع و محفزات تثير في ذات الفرد الرغبة في التنقل و الترحال، وازدياد الاتصال بين الشعوب كما تشجعه على السفر والاكتشاف الجغرافي واكتساب المعرفة، خصوصا فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات. الأمر الذي جعل المؤرخين يرون أن تلك المعرفة قد وضعت الجذور الأولى لمادة الإثنوجرافيا التي تشكل بدورها قاعدة هامة للمقارنة بين النظم الاجتماعية لدى البشر و التنظير بصدد تطورها عبر التاريخ الإنساني"[1].

يعد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الشهير بابن بطوطة من أعظم الرحالة حيث تميزت رحلاته بالاكتشاف. بدأ رحلاته من طنجة قاصدا بيت الحرام، فانته به الأمر إلى ترحال وراء آخر وسفر إثر سفر و رحلة تعقبها أخرى وإقامة هنا وهناك في ربوع البلاد امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بحر الصين شرقا، حتى استغرقت رحلاته في مجموعها ما يقرب من تسعة وعشرين عاما"[2]

ومن خلال رحلاته نجد أن ابن بطوطة قد أورد معلومات عن أقطار وشعوب وتعريف بهذا العالم وذلك من خلال عرض الحقبة الزمنية التي لم يكن السفر البعيد عبر البراري والبحار سهلا، إلا لمن إستهوتهم الرغبة في الاكتشاف ومن دفعتهم المغامرة وحب التغير والتجوال وتعرف على الناس والبلدان.

---

[1] -حسين محمد فهيم، أدب الرحلات قصة الانثروبولوجيا، عالم المعرفة ،1978، ص40.

[2] -المرجع نفسه، ص17.

لا يمكننا اعتبار الأعمال التي يمارسها الرحالة مهام فرعية في إطار قالب عام ذي هدف محدد، بل هي تعتبر سببا و وسيلة لتحقيق هذا الهدف تكون بقيمة سامية. تقدم النصوص الرحلية كما هائلا من المعارف والمعلومات، سواء ما تعلق منها بعلوم الجغرافيا الوصفية أو بطبائع الشعوب وعاداتهم ومعاملاتهم.

الفصل الثاني:

تعالق السيرة بالأدب الرحلي في رحلة الشيخ الطيب المماجي

المبحث الأول :تقديم الرحلة وصاحبها.

1-الطيب المهاجي رحالة وأديب:

هو الطيب بن المولود بن المصطفى بن محمد بن مصطفى بن الفريح، ولد في ربيع الأول سنة 1300ه/1882 بأرض القعدة بضواحي ولاية وهران، من قبيلة أولاد علي إحدى قبائل بني عامر بن رغبة المعروفين بعروبتهم. تعلم أبوه المولود القران على والده، و لفقره تصدى لتعليم القران بالأجرة ونسخ بيده مصاحف كثيرة، كان سكان المنطقة يحكمونه في النوازل وكان مشهورا بإتقانه كتابة الوثائق. و للمولود خمسة أبناء أصغرهم الطيب المهاجي،قد بذل جهدا في تعليمهم حتى تمكن جميعهم من حفظ القران، جده هو سيدي مصطفى أخذ العلم عن سيدي الطيب بن الفريح على الشيخ أبي رأس الناصر المعسكري، أما والد جده فهو سيدي محمد السني، الذي كان من كبار العلماء الذين أقاموا السنن وحاربوا البدع، ولذا لقب بالسني

تعد حياة الشيخ الطيب المهاجي حافلة بالعلم و الزهد و الورع. نقله باي وهران "عثمان الكبير" بجامعها الأعظم وجعله ضمن خواص مجلسه، وبقي بوهران إلى أن توفي يوم الجمعة 17 أكتوبر 1969 أوائل القرن الثالث عشر للهجري ودفن بمقبرة سيدي البشير التي تقع بالجهة الشرقية من وهران بوصية منه وقبره معروف إلى يومنا هذا.

***تعلمه القران و طلبه العلم:**

بدأ تعلمه في بيت أبويه و كان والده يعلم أن القران هو أحسن معلم للطفل فإذا كان القران جليسه فقد أدرك جميع خابيا الحياة وأدركها حق المعرفة. فقد سعى إلى جعله منهج في حياته، على صغر سنه يلقنه ألفاظ الشهادة ويشرحها له شرحا بسيط.كما كان يلقنه بعض السور من قصار المفصل حتى حفظه من سورة الضحى إلى سورة الناس. بدأ القراءة في اللوح من سورة الليل، فحفظ سور من القران الكريم على يد والده من سورة البقر إلى سورة النور حتى ختم القران حفظا، وله من العمر تسع سنوات. و قد تلت هذه الخاتمة إحدى عشرة ختامة موزعة على الشيوخ الآتية أسماؤهم:

-الشيخ محمد بن عبد الله الألعباني المعروف بإتقان القران حفظا و رسما.

-الشيخ محمد المولود بن إبراهيم (توفي 1908/1326م) المشهور بمعرفته للرسم العثماني للقران الكريم.

-الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي" و كنت في الغالب اصحبه فيكلفني كتابة بعض الواح طلبة المكتب النازل به كأنه يلفت بذلك أنظارهم إلي مبلغا اتقاني لرسم القرآن الكريم ومهارتي في حفظه، وقد أتممت علي يده القران الكريم في اللوح مرات بقراءة نافع من رواية ورش. وأخذت على يده أيضا الدرر اللوامع الابن بر في التجويد وتصوير الهمز من مورد الظمآن للشر يشي المعروف بالخرز وبعض ألشاطبيه"[1].

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق بوهران ،ص43.

و بعد أن تشبع الطيب المهاجي بما أخذ من علوم القران الكريم على يد شيخه عبد السلام بن صالح، توجه إلى طلب العلم فكان يحضر ويتابع دروس ابن عمه الشيخ محمد بن الفريح من مختصر الشيخ خليل مدة حتى ختم عليه المختصر خلالها أربع خاتمات أو أزيده. و أجاد على الشيخ محمد بن العربي الشرفي باب المتوارث من مختصر الشيخ خليل، وكان شيخ يصوبه في ما كان يخطئ فيه .

ثم الشيخ محمد الكندوز التنسي الذي جاء إلى مدينة لينفع بعلمه غزير أهل البلدة، أخذ عليه معظم مختصر خليل و الآجرومية، وقطر الندى لابن هشام، وألفية بن مالك، كما أخذ عليه لامية الأفعال في الصرف والسمر قندية في البيان والمتن .بعدها سافر إلى مدرسة الشيخ الشعيبى بقبيلة صبيح التابعة لمقاطعة حكومة مدينة تنس سابقا وسيدي محمد بن على سابقا غيليزان حاليا، حيث التحق بهذه المدرسة فتتلمذ على شيخها العالم الذي كان يحامل لواء الزعامة العلمية بالقطر الجزائري.

يعتبر الشيخ الشعيبي أشهر شيوخ الطيب المهاجي وأحنهم عليه و يظهر ذلك من خلال قوله:"بعدما أقمت بمدرسة الشعيبي مدة وصححت عليه معلوماتي السابقة وتلقيت منه ما كنت أتمنى الوصول إليه والحصول عليه أجازني إجازة عامة كتبها بخط يده الكريمة"، و قد كان بعد تخرجه من مدرسته لا ينقطع عن زيارة شيخه وحتى بعد وفاة هذا الأخير زار المدرسة في عهد أبناء الشعيبى.

*شيوخ الطيب المهاجي واهم انجازاته:

إن التعليم والتثقيف ثروة الأمم عبر مر العصور، وطلب العلم شاق ولكن له لذة ومتعة. والعلم لا ينال إلا على جسر من الأئمة اللذين يكرسون جهودهم في تدريس و تأطير الأجيال وهذا ما نال شرفه الشيخ الطيب المهاجي من أئمته ومشايخه فكان لهم خير خلف لخير سلف ومنهم :

- الشيخ عبد السلام بن صالح الغريسي (ت1320ه/1902م) الذي أجازة بكل ما تلقاه منه من خلال فترة إقامته بمدرسة.
- الشيخ الشعيبى وأسمه المولود بن علي بن المولود بن أبي شعيب(ت1351ه/1933م) حيث أذن الشيخ لتلميذه الطيب المهاجي بأن يقوم بالرواية عنه لفظا وكتابة(إجازة عامة).
- الشيخ أبي شعيب الدكالي (ت1356ه/1937م) وقد أجازه هو الآخر إجازة عامة.
- الشيخ عبد الحي الكناني الفاسي (ت1348ه/1929م) حافظ المغرب والذي أجازه إجازة عامة مطلقة.
- الشيخ الشعب الجليلي قاضي الجماعة بتلمسان، وقد أجازه بنظمه في أبيات شعرية بعث بها إليه مطلعها: "إلى بني الأطيب المهاجي من علمه في النفع كالنجّاح."[1]
- الشيخ القاضي سيدي أحمد بن الحسين المختاري (1344ه/1925م)
- أحد قرابة الأمير عبد القادر و أحد أعلام منطقة معسكر أجازه بما أحتوى عبيه ثبت الشيخ الأمير المصري من الفنون والأسانيد.
- الشيخ محمد بدر الدين محدث الشام بدر الحديث النبوي الشريف بدمشق .
- الشيخ سيد أحمد الشريف السنوسي الخطابي (ت1351ه/1933م). المعروف بالفضل ذو المقام الرفيع والمكانة السامية، وقد أجازه مشافهة عامة وأذن له في تلقين أوراد الطريقة السنوسية المنسوبة لجده الشيخ محمد بن على السنوسي.
- الشيخ خليل التكروري والشيخ أحمد الأمين بن غرور وهما من علماء المدينة وقد أجازه إجازة عامة.

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر ص64.

***إنجازاته:**

كانت هناك أسباب حالت دون تأليف الشيخ الطيب المهاجي أكثر مما تركه لنا، و قد أشار إلى ذلك بقوله:"ومعلوم أن الاشتغال بتعليم العلم أنفع بكثير من الاشتغال بالتأليف، لهذا نرى الكثير من العلماء العظام منهم اعتكفوا على التعليم، و لم يتعاطوا بالتأليف إلا في القليل"، فقد ذكر الشيخ أحمد بابا في التذيل أن الشريف التلمساني قليل التأليف، و هذا كله راجع إلى اشتغاله بالتعليم، يعمل فيه ليلا نهارا. وغيره الكثير لم يوجد في توجههم مع غزارة علمهم أنهم ألفوا في فن من الفنون ولكل وجهة هو موليها "[1]. و قد كان الشيخ من هؤلاء العلماء، الذين اشتغلوا أو شغلهم التعليم عن التأليف وذلك لحاجة الإمداد الجزائر في فترة الاستعمار إلى من يعلمهم الفتوة وتعاليم دينهم، ومع هذا قد ترك لنا الشيخ المهاجي مجموعة من الرسائل العلمية من بينها:

-أنفس الذخائر وأطيب المآثر.

-تزويد الحاج بالمناسك المعزوة لإمام الأئمة مالك.

-رسالة في مبادئ الصرف.

-رسالة في علامات الإعراب.

-رسالة في علم البيان.-رسالة في علم المنطق."[2]

---

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب مآثر ،ص119.

[2] – عبد المجيد بن نعيمة،الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،في إطار أعمال مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا ،جامعة وهران ،ط1 سنة2004.

***تصدر الشيخ الطيب المهاجي التعليم بوهران:**

بعد تحصيل الشيخ الطيب المهاجي للعلم من اكبر مشايخه وإجازات أشهر علماء عصره. قام بمهنة التدريس في مقاطعة وهران عاصمة الغرب الجزائري، المتعطشة لعلوم اللغة العربية والشريعة فأسهم بذلك في نشر العلم و الثقافة الإسلامية. من أوائل القرن العشرين إلى أن وافته المنية بعد الاستقلال سنة 1969م. يظهر هذا من خلال قول الشيخ "حللت بوهران سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف، و كان بها آن ذاك قريبي، فطلب مني النزول عنده فكنت أتردد على منزله أقيل وأبيت. وتعرفت بجماعة من الطلبة فالتمسوا مني قراءة الربع الثاني من مختصر خليل رحمه الله فقراته واتيت بكل ما في وسعي من حسن الإلقاء والتأنق في العبارة والتفنن في الأساليب مع جلب ما يحضرني من النقول قاصدا بذلك والله يغفر لي خطيئتي إشهار علمي وانتشار ذكري....ولما رأيت إقبال الطلبة على حضور دروسي اجتهدت في إلقاء الدروس المتنوعة يحضرها الكثير من طلاب العلم "[1]

فكان يجلس الشيخ لإلقاء دروسه صباحا من الساعة السابعة إلى الحادية عشر، و مساء من الثانية إلى الساعة الخامسة وكان هذا التوقيت موزعا على العلوم التالية: الحصة الصباحية: مخصصة لدارسة النحو، و الصرف والبيان. و الحصة المسائية: يدرس فيها الفقه من مختصر الشيخ خليل. و لم يقتصر تعليمه بالنهار فقط، بل كان يعطي دروسا بالليل في التفسير وقد ختم تفسير القرآن الكريم في تسع سنوات، ثم استأنف قراءته وتفسيره للمرة الثانية في ليالي رمضان المعظم، كما كان يسرد في أيامه الجامع الصحيح للبخاري. و بالإضافة إلى تدريسه من الموطأ أو من بلوغ المرام أو من رسالة ابن أبي

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص84.

زيد القيرواني عوض مختصر الشيخ خليل، فقد كان الشيخ المهاجي يشاور طلبته من حين لآخر حول الكتب والدروس الراغبين في سماعها.

كان هذا دأبه في التعليم إلى أن فاجأهم الحرب العلمية الأولى سنة1914م، فقد جندت الحكومة الفرنسية الكثير من الطلبة الذين كانوا يزاولون دروسهم .كما جندت أبناء الأمة الجزائرية و زجت المئات والآلاف منهم في حرب ليس لهم فيها ناقة و لا جمل. ولما وضعت الحرب أوزارها عاد الشيخ إلى سيرته واعتكف على التعليم من غير أن يفقد شيئا من الحرص و الاجتهاد الذي عرف بيه والذي أعتاد عليه. إلى القيام الحرب العالمية الثانية سنة 1358ه/1939م، وعاد مرة ثالثة بعدها فانتظمت دروسه واتصلت حلقاته إلى أن قامت ثورة التحريرية الكبر أول نوفمبر، و لم تقطع هذه الدروس إلى أن توفاه الله إليه عام(1389ه الموافق سنة 1969م).

لقد كان الشيخ الطيب المهاجي عالما و فقيها بصيرا بأحوال زملائه، و كان حريصا على التحصيل الجيد لطلبتهم وتلاميذهم. وقد أعطى كل ما يملك لنجاحهم و تفوقهم. و بهذا الحرص تخرج على يديه رجال كانوا دعاة خير وعملوا على إصلاح المجتمع وتثبيت الناس على أخلاق الفضيلة و انتفعت بهم الأمة الجزائرية.

***تلاميذ الشيخ الطيب المهاجي:**

قد ساهم الشيخ الطيب المهاجي في إخراج جيل جديد من التلاميذ الذين سعوا إلى رفع راية التعليم وطلبه في المجتمع الجزائري . و هذه أحد شهادة تلامذة الشيخ الطيب بلقندوز:

"و بهذا القلب عقد اللواء وجعل مشعل العلم وتأهب لغزو الجهل، فشرع يبث فنون العلم بين طلابه لأن التربة صالحة للغرس والجو ملائم للنبات"[1]

و في هذا الاتجاه وجد الشيخ ضالته، فجاهد بكل قواه و وقف عليه فكره و وقته. وسرعان ما نمى على يده رجالا دعاة خير و رسل إصلاح. أبشر و نمى فيهم نزعة الخير وانتفعت بهم الأمة. فكان في مقدمتهم ابنه وتلميذه قاسم رحمه الله المدعو زيدون، خريج كلية العلوم بجامعة فؤاد سنة1953 واستشهد في شهر نوفمبر 1954 ومن أشهر تلاميذه نذكر:

-الشيخ جلول أبو ناب الفليني:

كان تاجر بوهران وهو الذي أقام بالنيابة عنه أحسن نيابة ،حيث سافر الشيخ لأداء فريضة الحج سنة 1932م فتح مدرسة قرآنية ويعتبر من رواد الحركة الوطنية والإصلاحية بغليزان. فكان رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بهذه المدينة، توفي قبل اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر.

-الشيخ مصطفى بن زيان:

أصله من مدينة سيق كان من أنجب تلاميذ الشيخ المهاجي، تولى منصب القضاء والفتوة .بمدينة تيارت إلى أن توفي بها بعد الاستقلال سنة1971م.

-الشيخ النابلسي بن زيان:

وهو ابن الشيخ الإمام عبد الباقي صاحب الزاوية المشهورة، بوادي الجمعة في مدينة غليزان وابنه الشيخ المدني رحمه الله وحفيده عبد الرحمان بن الزيان، كلهم درسوا عند الشيخ الطيب المهاجي توفي

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص22.

رحمه الله بوهران سنة1956م، ودفن بزاوية أبيه بوادي الجمعة ترك مكتبة ثرية بالكتب والمخطوطات و لازالت هذه المكتبة إلى يومنا هذا عند أحفاده بوادي الجمعة.

-الشيخ عبد القادر الطيب إبراهيم:

وهو ابن الشيخ محمد مكنوس من قرية الشيخ المهاجي و صهره. درسه في فترة الاستعمار بمدرسة جمعية العلماء المسلمين بسيق، وانتقل بعد الإستقلال إمام ومدرسا بالجامع الكبير المسمى جامع الباشا الإمام الهواري بوهران توفي رحمه الله سنة1998م.

-الشيخ عبد القادر بوجلال:

يعتبر كذلك من أبرز التلاميذ وأقربهم إلى الشيخ المهاجي وهو من الطلبة الذين جندوا في الحرب العالمية الثانية، اشتغل إماما ومدرسا بمجسد حي البدر بوهران إلى أن أحيل على التقاعد توفي سنة 2010

-الشيخ جلول بلقندوز:

المعروف بعبد الله الوعزايبي، الذي اشتغل مفتشا في التعليم الابتدائي بقرية ابن باديس بسيدي بلعباس توفي رحمه الله بعد الاستقلال. و قد ترجم لشيخه عند صدور الكتاب في طبعته الأولى سنة1966. جاء فيها "إنها لحظة سعيدة ولمحة نفيسة في تاريخ العمر تفاجئنا أثناءها بصدور كتاب ممتاز بأساليبه الشيقة الحكيمة وبحقائقه الثابتة الرزينة يزيدها عذوبة ويكسوها رونقا رقة الفظ ودقة المعنى.

و نحن بدورنا يحق لنا أن نفخر بهذا البادرة التي لم تكن من فضيلتك هي الأولى في ميدان التفكير والاستنتاج والتي ستظل مفخرة خالدة يعتز بها التراث الأدبي الجزائري ".[1]

*دور الشيخ في الحركة الوطنية:

لقد ساهم الشيخ الطيب المهاجي كغيره من العلماء الجزائريين المخلصين في مواجهة الاستعمار، بتصديه وتصدره للتربية والتعليم بعد تأهله لهذا المهنة النبيلة منذ بداية القرن العشرين. رغم تعنت الاستعمار و تضييقه على العلم العلماء بقوانينه الجائرة. و مع بداية الحركة الوطنية شارك الشيخ المهاجي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، فكان من أعضائها الدائمين ثم بدا له أن يتفرغ لمهمة التعليم بمدرسته، لحاجة الأمة الجزائرية الماسة إلى من يعلمها دينها ولغتها. فأقبل على تلك المهمة الشاقة بكل ما يملك ماديا ومعنويا.

ساهم بذلك في تخرج علماء و رجال شاركوا في حركة النضال ضد الاستعمار. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا، فكان منهم ولده الأستاذ قاسم. و باستشهاد ولده نال الشيخ من الكوارث التي حلت بالجزائر الحظ الأوفر. كما عبر عن ذلك في كتابه في قوله:"وكان أول شهيد أستشهد من أبناء الجزائر في سبيل الوطن هو ولدنا السيد القاسم، و باستشهاده نالني من الكوارث التي حلت بالجزائر الحظ الأوفر، و النصيب الأكثر"[2]

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص129.

[2] –المرجع نفسه،ص105.

ومن جهة أخرى نجد أنه كان يمثل المفتي الرسمي لمجاهدي منطقة وهران. فكان يساهم بفكره وعلمه في الدعم المعنوي، و لابأس أن نذكر الحادثة الآتية في تحريضه لابنه الشهيد قاسم رحمه الله ليزيد من نضاله الثوري، فقد أشار عليه بعض أساتذة الكلية بأن يتجنس بالجنسية المصرية ليتاح له التدريس بالقطر المصري فأبى إلا أن يبقى على جنسية الجزائرية، ثم عرض عليه التدريس بالكويت فوافق ذلك على استشارته فأبى وحتم عليه العودة إلى الوطن، الذي هو في الوقت الحاضر أحوج ما يكون لأمثاله. فامتثل وعاد من فوره يحمل علما نافعا ومعارف واسعة فوقع له ما وقع وأكرمه الله بالشهادة رحمه الله.

2-ملخص رحلات الشيخ الطيب المهاجي:

أ-الرحلة إلى الحرمين الشريفين:

أراد الشيخ الطيب المهاجي الذهاب لأداء فريضة الحج، سنة خمسين وثلاثمائة وألف الهجري. فطلب رخصة السفر من الحكومة الفرنسية، حيث ذكر العراقيل التي وجدها لأخذ الرخصة بسبب المفروضات التي فرضتها القانون الفرنسي على المسافر.

ثم يضيف الشيخ قائلا "زيادة على هذه المضايقات، تصحب الحاج عيون من طرف الحكومة تراقب حركاته وسكناته"[1]، كما روى الشيخ الطيب المهاجي عن الباخرة التي ينقل على متنها الحجاج. فوصف ما فيها وتحدث عن رداءة الطعام المقدم فيها. بعدما تسلم الشيخ الطيب المهاجي

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر في ما أتفق لي في الماضي والحاضر، مطبعة الشركة الجزائرية للطبع والأوراق بوهران، ص67.

الرخصة انتظر قدوم المركب المخصص لنقل الحجاج من ميناء الدار البيضاء وميناء وهران والجزائر و عنابة.

وفي السابع عشر من ذي القعدة تبدأ رحلته، حيث رسا المركب بوهران لحمل الحجاج المنتظرين. و واصل سيره ليلا، و من الغد أصبح بميناء الجزائر ثم إلى عنابة حمل من كان بها ينتظر. وذكر أنه كان في المركب نحو الألف والأربع مائة نسمة ثم أبحر من عنابة إلى جدة.كانت مدة السفر البحرية في ثلاثة عشر يوما بلياليها . و أثناء هذه الرحلة طلب الحجاج منه أن يقدم دروسا عن مناسك الحج فصار يقرأ درسين بالغدو و العشي من كل يوم إلى أن نزلوا بجدة. وكان في السفينة الحجاج من المراكشيين والجزائريين وفيهم جماعة من العلماء، و قد التمس منه عالما من ناحية طنجة أن يجيزه فأجازه. وفي عشية يوم الأربعاء نزل الحجاج بجدة.

و بعد غروب الشمس رأى الناس هلال ذي الحجة، و في يوم الخميس الفاتح من ذي الحجة استأنفوا السفر إلى مكة. وجدوا كل ما يريدون مهيأ لهم، من سكن و وسائل وحتى الإسعافات والأطباء عند الحاجة. ثم ذهب الشيخ الطيب المهاجي للطواف ومعه ثمانية عشر رجلا وامرأتان عند دخولهم مكة أقاموا فيها تسعة عشر يوما معدودا فيها يوم عرفة، حيث أجتمع تلك المدة داخل المسجد الحرام وخارجه علماء مختلفين الجنسية. وذكر أنّه التقى بعالم هندي يجالسه بالحرم بعد الصلاة وسأل عن حكم الوشم في الأيدي و الأوجه فأجابه الشيخ الطيب المهاجي بأنه هذا الفعل

حرام، ويقول "لما قلت له أني حضرت على الشيخ أبي شعيب وأنه أجازني طلب مني الإجازة فأجزته بما أجزني به الشيخ الدكالي وقد قدمنا له إجازته لنا .."[1]

و ذكر الذين اجتمع بهم بمكة منهم أبو السمح إمام مسجد الحرام. و كان موضوع حديثهما عن حكم صلاة ركعتي الطواف بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر. و حضر ذات ليلة بعد المغرب حلقة العالم النابذ السنوسي الخطابي، الذي كان يتحدث عن موضوع علامة مسألة التوسل الحالف بالمخلوق. كما كان يتردد إلى هذا العالم في زاويته بأبي قسيس ويحضر مجالسه وسمع منه في مجلس واحد ثلاثة عشر حديثا. إلى أن و أجازه مشافهة إجازة عامته وأجد له في تلقين أوراد الطريقة للسنوسية.

وفي يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة عام خمسين وثلاثمائة وألف، خرج الشيخ الطيب المهاجي ورفقته من مكة متجهين نحو المدينة. و ذكر بأنه تأخر سفرهم لذلك الوقت لأن الحكومة المحلية رتبت خروج السيارات التي أعدت لنقل الحجاج من مكة إلى المدينة المنورة. و تحدث كذلك الشيخ عن التنظيم وترتيب الذي وجده الحجاج أثناء انتقالهم من مكة إلى المدينة المنورة بقوله:

"بالحملة فالحكومة السعودية تمنى اعتناء لا مزيد عليه حتى ينفصل عن أرض الحجاز،فالمسافر من أحد الحرمين إلى الآخر راكب أو ماشيا وحده أوفي جماعة في الليل أو في النهار لا يخاف إلا الله تعالى حيث تسهر الحكومة على استتاب لأمن في المدن والقرى ، وفي الطريق وسائر أنحاء الحجاز بعد

[1] -الشيخ الطبيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر ، ص71.

ما كان الأمر قبل المملكة السعودية في عدة قرون العكس الحاج على نفسه وماله حتى في مكة الحرم الآمن"[1] .

دخل الحاج المدينة المنورة ليلة الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة وفي ليلة الجمعة، و من الغد صلوا الجمعة بالمجسد النبوي ثم صلوا الجمعة التي بعدها وخرجوا من المدينة في الفاتح محرم فكانت إقامتهم بها ثمانية أيام، قابل الشيخ الطيب المهاجي في هذه المدة جماعة من العلماء المدينة.

وحضر دروس بعضهم كحضوره لدرس العلامة الزاهد الورع الشيخ خليل التكروري وأجازه مشافهة عامة. ومن المجيزين له من علماء المدينة أبو العباس القدوة الإمام العلامة الشيخ فهد الأمين بن عزوز وأجازه مشافهة إجازة عامة.

ب-**رحلته إلى تونس :**

زار الشيخ الطيب المهاجي تونس سنة ثمان وأربعين من القرن الرابع عشر هجري، أقام بها أياما حيث بقع فيها. و قد التقى فيها بالشيخ بيرم وبقاضي المالكي و الشيخ الصادق النيفر في الجامع الزيتونة، ودار الحديث بينهما في مواضيع هامة ومتنوعة. كما أهدى له الشيخ بيرم رسالة في الحمامات المعدنية من مؤلفات أحد أسلافه، ثم زار مجلس القضاء الشرعي. و أثناء إقامته بتونس ذكر بأنه كان يتردد على حلقات التدريس بجامع الزيتونة حيث حضر مرة حلقة شيخ موضوع درسه ألفية بن مالك كما حضر درس في أصول الفقه.كما حضر درس الشيخ ابن يوسف الحنفي في التفسير. و زار الشيخ الطيب المهاجي بتونس المدرسة الخلدونية فقابل مديرها الذي رحب بيه وطاف به على

[1] – الشيخ الطبيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر ، ص76

حجرات تعليم التلاميذ و أثنى على المدير وعلى أساتذة المدرسة، و شكرهم الشيخ على اعتنائهم بتربية الأجيال ووجه كلمة التلاميذ بقوله:

"إنكم رجال المستقبل، و إن أمتكم تعلق على هذا المستقبل آمالا فسيحة الأرجاء. و تبني على تلك الآمال صروحا من التمنيات التي تعتقد أنها ستبلغها بواسطة مجهداتكم، كما أن وطنكم يفرض عليكم أن ترفعوا مستواه حتى يتبوأ مركزا ساميا يليق به، وهذا يتطلب أن يكون بين أبناء الوطن الفلاح والتاجر والطبيب والمحامي وغير هؤلاء ممن يشتغلون بالحرف المهمة التي بها قوام المجتمع وحفظ كيانه، أعانكم الله على ما أنتم بصدده"[1].

ودع الشيخ الطيب المهاجي الجميع وركب القطار الليلي راجعا إلى أهله. و في طريق العودة نزل بمدينة قسنطينة ليستريح من تعب السفر الليلي ومكث بقية اليوم ينتظر القطار الذاهب ليلا إلى وهران. و أثناء هذه الفرصة زار الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدرسته العامرة بالعلم وبطلابه. و بعدها انتقل به ومع بعض خواص طلبته إلى بيت كتبه، و حديثه عن ما أتفق له في تونس وكان كذلك موضوع كلامهم مسألة التوحيد ثم بعدها ودعه وافترقوا.

ج-**رحلته إلى المغرب:**

ذهب الشيخ الطيب المهاجي سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف، في رحلة إلى المغرب بدعوة من بعض أصدقائه بمدينة فاس، و أثناء إقامته صار يتجول في بعض مناطقها، حيث تحدث عن بعض الأماكن وغيرها كالبناءات والأزقة والدكاكين والمكاتب لبيع الكتب والمجلات والجرائد والتجار.و

[1]-الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص91.

أثناء وجوده في مدينة فاس أقيم مهرجان كبير يطلق عليه المغاربة اسم "موسم مولاي إدريس" و تحدث عن ما فيه. حيث وصف كيف يجتمع الناس من كل الطوائف وجميع الطبقات، يقومون باحتفال و التطبيل عند الضريح، ثم سرد علينا كيفية تقرب إلى الشيخ من خلال تقديم قربان المتمثل في الثيران التي أعدت مخصوص لهذا لأمر فتذبح على مقربة من ضريح ، حيث وصف أيضا أنهم يتزاحمون على دم تلك الذبائح و فرثها تبركا بيها.

ثم قال:"وهو الذي ذكرته لك أيها القارئ الكريم قليل من كثير وكله يقع في بلد طيب به كلية علمية هي من أكبر الكليات في العالم الإسلامي فلا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا من العوائد المعمول بها دائما من قديم في يوم هذا المهرجان السنوي ختم صحيح البخاري"[1].

و وصف طريقة ختم هذا المهرجان وما يقع فيه، حيث يجتمع أربعون عالما بعد طلوع الفجر من يوم المهرجان بجامع ألمولاي إدريس قرب ضريحه حيث توزع عليهم نسخة من صحيح البخاري في أربعين سفر، فيسرد كل واحد على حدا دفعة واحدة و يقرا احدهم على مسامع الناس الحاضرين الحديث الأخير الذي ختم به البخاري صحيحه، و يختم حديثة بالدعاء للحاضرين.

وقد اتفق للشيخ الطيب المهاجي أنه كان حاضرا تلك الجلسة الختامية فناوله القائم بالأمر سفر و كان ذلك بإشارة من معارفه الحاضرين، يقول الشيخ الطيب:"ولا ادري أهذا السفر من الأربعين سفرا الموزعة أم هو زائد عليها فسردته كما أمرت ثم قبل رفع الجلسة قمت خطيبا عن صاحب هذا

[1] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،نفس الذخائر وأطيب المآثر ،ص94.

الضريح له المنة و الفضل العظيم على أهل المغرب"[1] فذكرت حياة هذا الزعيم الكبير وما قام به رحمه الله.و ذهب الشيخ الطيب المهاجي عند أحد كبار العلماء قد استدعاه واستدعى معه جماعة من زملائه المدرسين القيروين و دارت بينهم أحاديث مختلفة. وبعد زيارته فاس زار مدينة مكناس وعاصمة الرباط وبلد سلا، و في طريق عودته إلى أهله نزل بمدينة وجدة فصلى بها الجمعة وكانت هذه المدينة خاتمة المطاف.

3-**دوافع كتابة الرحلة**: هناك دوافع كثيرة و أسباب عدة حمست الشيخ الطيب المهاجي و رغّبته في التّرحال و توثيق ما جادت به رحلته من معارف و علوم، و لعل من أبرزها:

أ-دافع تعليمي:

حيث أن هذا الدافع حرك الشيخ الطيب المهاجي، أن يحمل على عاتقه تثقيف أبناء شعبه وجعله يكون ذا مهمتين، مهمة تثبيت شباب في زمنه على الدين واللغة والأدب والتعليم ومحو ما كان يسعى إليه الاستعمار من نشر الأمية وتجهيل أبناء الجزائر. و مهمته الثانية جعل موروث أدبي في تاريخ أدب الجزائري، حيث سعى إلى تثقيف القارئ و إثراء فكره وتأملاته عن فترة التي عشها. و بذلك جعلنا نكون نظرة عن ما كان يحدث في تلك الفترة في الجزائر. و طريقة سير التعليم، وكذلك سعيه في حفظ الكتب والمراجع المعتمدة في التعليم في ذالك الزمن. وكذلك حاول أن يعكس لنا من خلال رحلته ما تعلمه عن الشيوخ وما عناه هو في تحصيل العلم وتسجيل جميع مراحل التي مر بيها.

[1] الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،نفس الذخائر وأطيب المآثر ،، ص 94.

كما ذكر لنا الشيخ رحلته إلى تونس التي كان يحضر فيها دروس مختلفة ذات قيمة علمية،حيث قال: "كنت أثناء إقامتي بتونس أتردد على حلقة التدريس بجامع الزيتونة فجلست مرة خلف حلقة الشيخ موضوع درسه قول ابن مالك في ألفية"[1]. وقوله كذلك: "حضرت أيضا درس لشيخ يقرا أصول الفقه"[2]

وذكر بعض الأستاذة التي أخذ عنهم علمه. من خلال قوله:" وأخير حضرت درس الشيخ ابن يوسف الحنفي في تفسير قوله تعالى "وأتموا الحج والعمرة الله".[3]

حيث من خلال ذكره الدروس التي حضرها يفيد القارئ من معلومات كانت يحملها كتابه و تعريفنا بعلماء أجلاء أمثال الشيخ شعيبي و سيدي محمد بن الفريح والأستاذ السنوسي و الشيخ محمد الكندوز. فمنهم من اخذ عنه علمه ومنهم ما كان شيخا للذين دروسه، ليصبح أيقونة في أدب الجزائري وقدوة أجيل على مر العصور.

ب–دافع الديني:

و يتمثل الدافع الديني عند الشيخ المهاجي من خلال رحلته إلى الحرمين الشريفين، من خلال الحج إلى مكة المكرمة. حيث تحمّل مشقة في التنقل من أجل أداء الفريضة امتثالا لأمر الله من أجل أداء فريضة الحج الواجبة على كل مسلم ما توفرت فيه الشروط. و كذلك زيارة قبر الرسول عليه صلى و

[1] –الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص67.
[2] –المرجع نفسه، ص68.
[3] –المرجع نفسه،ص69.

سلام في المدينة. و لم يكتفي بذلك فقط وإنما كان يذهب إلى مجالس العلم و الدين بحضوره دروس بعض العلماء في مكة والمدينة، و هذا ما جاء في قوله:

"ومن اجتمعت بهم بمكة الشيخ إمام مسجد الحرام تحدثنا وكان موضوع حديث في حكم صلاة ركعتي الطواف بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر"[1]. ونجده في قوله كذلك " ومن الذين قابلتهم من العلماء بمكة واستفدت منه شيء الكثير عاد على فضله المجاهد الكبير و لأستاذ المربي والعلامة التحرير الشهير أبو المواهب الشيخ سيدي احمد الشريف السنوسي الخطابي "[2] . و قد اجتمع دافع حب التعلم وزيادة المعرفة عند الشيخ من خلال قوله "قابلت أثناء هذه المدة القصيرة جماعة من علماء المدينة وحضرت دروس بعضهم وواظبت على حضور دروس العلامة الزاهد الوارع الشيخ خليل التحروري "[3]

تعتبر الرحلة الشيخ الطيب المهاجي إلى الحرمين الشريفين ذات قيمة دينية نظرا لتطرق الرحالة إلى الكتابة عن المواضيع دينية مختلفة. و قد اجتمع دافعين اثنين في رحلته إلى الحرمين الشريفين، فلم يقتصر على نقله لصورة رحلته إلى مكة المكرمة فقط بل اجتمع الدافع التعليمي أيضا في هذه الرحلة. حيث إتسمت هذه الرحلة بتعليم الحجاج الذين رافقوه والعمل على تعليمهم طريقة أداء فريضة الحج وما كانوا يجهلونه، فقد كان معلم ومرشد لهم في هذه الرحلة.

---

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ، أنفس الذخائر وأطيب المآثر ص 70.

[2] – المرجع نفسه،ص77.

[3] –المرجع نفسه،ص78.

ج-دافع الاستكشافي:

حيث أن هذا الدافع تمثل في رحلته إلى التونس والمغرب و حتى إلى مكة. حيث إكتشف عاداتهم وتقاليدهم وطريقة التعليم و أشكال العمران عندهم و خصال أهلها و أسلوب حياتهم. يمكن أن نلتمس الجانب الاستكشافي من خلال زيارة الشيخ الطيب المهاجي إلى بلاد المغرب بقوله: "صرت أثناء إقامتي أتجول في شوارع البلدة واقفا على أثارها القيمة ومساجدها العتيقة وأطوف على معاهدها العلمية ومعالمها الصناعية ولكن التجول بهذه المدينة الكبيرة المترامية الأطراف، متعب جدا الآن البناءات بها لازالت على عهد القديم"[1] .

عرّفنا الشيخ على البلدان التي زارها من خلال وصفه لشوارعها وما فيها. ويكمل حديثه عن سرد أخبار تخص العادات والتقاليد في ذاك البلد. كقيامهم بمهرجان الذي وجده حيث قال" صادفت أيام وجودي بمدينة فاس إقامة مهرجان كبير يطلق عليه المغاربة اسم مولاي إدريس، يحشد الجماهير من كل الطوائف وسائر الطبقات ."[2] وذكر لنا من خلال رحلته العادات الأخرى بقوله:"ومن العوائد المعمول بها دائما من قديم في يوم هذا المهرجان السنوي يتم ختم صحيح البخاري"[3].

---

[1] - الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر ، ص93.

[2] - المرجع نفسه، ص94.

[3] -المرجع السابق، ص95.

المبحث الثاني: تعالق الأدب بالسيرة في الرحلة:

1-تجليات السيرة في الرحلة:

يكتب الرحالة عن الرحلات التي خاضها ذاكرا سيرته فيها أحيانا و معبرا عن ما لاحظه أحيانا أخرى. و يقول الباحث عمر بن قينية في هذا الصدد بأن" فن الرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي فيه فائدة للمؤرخ مثل الباحث في الأدب والجغرافيا، و علم الاجتماع وغيرهم، كما هو ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف وأوضاع وفي اكتشاف معالم وأقطار ووصفها، و الحكم عليها وعلى المجتمع فيها حكاما ومواطنين فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته"[1].

و من خلال هذا التعريف يظهر مجموعة من المميزات التي نحتت هذا الفن، وهي الدقة في الوصف ونقد الأوضاع وتصوير الحقائق كما هي. و الأديب الرحالة يصور كل ما تلتقطه عينه من مشاهد و كل ما يمر به، و هذا ما نجد في رحلات الشيخ الطيب المهاجي .

حيث أنه تحدث عن نفسه واصفا ما لاحظه في رحلاته. ففي رحلته إلى الحرمين الشريفين وصف كل ما وقعت عليه عينه، من خلال وصفه الرحلة من بدايتها من السفينة إلى أن يصل في قوله "فلقد رأيت بعين راسي المركب البحري الذي أقل الحجاج إلى جدة وقد أفرغ من حمولته وهي كميات من أطنان الحنطة ثم غسل بماء البحر....."[2] فقد دون ما مر به في حياته وما لاحظه من حوله.

---

[1]- عمر بن قينة:في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1995، ص97.

[2] الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،-ص68

و في رحلته إلى تونس كانت سيرته والوصف حاضرين في قوله" ومن الزيارات السارة بتونس أني زرت المدرسة الخلدونية فقابلني مديرها بالترحيب و طاف بي على حجرات تعليم التلاميذ من كل الطبقات ثم رتبهم صفا خلف صف وعقد بين تلميذين مناظرة"[1] فقد وصف الشيخ كيف يسير التعليم في بلاد تونس .

أما رحلته إلى المغرب قال "صادفت أثناء وجودي بمدينة فاس إقامة مهرجان كبير يطلق عليه المغاربة اسم موسم مولاي إدريس، يحتشد الجماهير من كل الطوائف وسائر الطبقات بعدما يأتون من كل حدب وصوب"

وكذلك في قوله "وقد أتفق لي أن كنت حاضرا تلك الجلسة الحديثية فناولني القائم بالأمر سفرا و كان ذلك بإشارة من المعارف الحاضرين، ولا ادري أهذا السفر من الأربعين سفرا الموزعة أم هو زائد عليها فسردته كما أمرت ثم قبل رفع الجلسة قمت خطيبا وقلت أن صاحب هذا الضريح له المنة والفضل العظيم على أهل المغرب حيث حمل هو و والده إليهم رسالة جده صلى الله عليه وسلام"[2].

هنا تحدث الشيخ الطيب المهاجي عن نفسه في رحلاته مدونا الوقائع التي مر بها .حيث تجلت سيرته في رحلته ومن هنا نستند إلى قول نوال عبد الرحمن الشوابكة في تحديدها لهذا الفن فتقول"أدب الرحلات فن تغمره الحياة، يزخر بالتجارب الحية، والحركة والانتقال من مكان إلى أخر،

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر ص90.
[2] – المرجع نفسه،ص94.

و هو بهذا يلتقي بالسيرة، ذلك أن كلمة سار تدل على المسيرة والانتقال، وتومئ بطول الطريق وقطع المسافات وتعدد المراحل، وهذا يتفق مع الكتابات التي تؤرخ لسيرة الإنسان منذ طفولته إلى شيخوخة".[1]

الانتقال والسفر يعتبران جزءا هاما من سيرة شخص لابد الحديث عنهما. و معنى ذلك أنه ذكر سيرته الذاتية أثناء كتابته لرحلاته التي قام بيها. وهذا ما نجده في كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر لشيخ الطيب المهاجي الذي تجلت فيه سيرته الذاتية في مختلف مراحله عمرية. حيث بدأت رحلته الأولى في التعلم في مراحل مختلفة، ومنذ مكان سنه صغير وصولا إلى وصول إلى هدفه بكونه صار من أكبر العلماء الجزائر وتدريسه أبنائها و الرحلاته إلى مختلف البلدان من أجل التعلم وإفادة الناس بعلمه.

2-الهدف من الكتابة:

تتعدد أهدف الكتابة كل حسب منظوره الخاص، و لكنها تجتمع كلها في كونها تحقق إفادة للقارئ و المتلقي. فقد تجتمع مع الهدف الإبداعي الذي يجعلها تشعر للحاجة للتعبير عن ما يختلج في ذاته، و خاصة إذا كان الرحالة يزور بلدانا وأمم، فيتعرف من خلال رحلته هذه على مختلف مظاهر البلاد التي يزورها سواء ما تعلق بالدين أو المجتمع أو الثقافة.حيث يسعى إلى سرد أحداثها ونقلها إلى

[1] -عبد الرحمن نوال الشوابكة:الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار المأمون،ط1،عمان2008،ص243.

القارئ و حسب النقاط التي ذكرتها سميرة أنساعد أن من الأسباب التي تدفع الرحالة إلى تدوين الرحلة مجموعة من النقاط المتمثلة في:

- تلبية رغبة الآخرين من الحكام و الأصدقاء أو الأقرباء، بتدوين الرحلة وإمتاعهم بالإطلاع على مآثر إعجاب الرحالة ودهشته، و فرحته وحزنه.
- تقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف والعلوم، والتعريف بالإعلام ومؤلفاتهم.
- التعريف بالبلدان والممالك التي زارها، وتحديد الطرق والمسالك، وتبين مواقع الخطر والمشقة، حتى يستفيد الآخرون منها.
- سرد أخبار الأمم والأقوام، ماضيها وحاضرها، من عادات وتقاليد وطقوس.
- التأريخ للأحداث المتنوعة وتقديم معلومات سياسية واقتصادية عن البلدان المقصودة في الزيارة.
- رغبة المشاركة في أدب الرحلات عن الرحالة وتدوين أخبار رحلته.الدعوة إلى تغير الجو والاحتكاك بالآخر والانفتاح عليه[1]

وقد تظهر مساهمات الشيخ الطيب المهاجي في هدفه من الكتابة في التعريف بمجتمع التونسي والمغربي من خلال وصفه مرحلة رحلته إليهم و وصفيه لعادتهم ولتقليدهم .و في وصفه لرحلته إلى مغرب فقد صور لنا معالم المناطق عندهم من خلال قوله"رغم ضيق الأزقة نجد حوانتها على طول

[1] -ينظر سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني،مجلة التراث العربي :مجلة فصيلة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب،دمشق،س24،أذار2005،ص34-35-36.

الطريق الدكاكين المتجاورة "[1]. و وصف عادتهم حيث من خلالها تعرفنا على مهرجان سيدي مولاي، وطريقة التي يتبعها سكان المغرب في تقرب إلى ضريح وطريقة لاحتفال بيه .

و كذلك تعرفنا من خلال رحلته على المجتمع التونسي وطريقة سير التعليم عندهم، من خلال وصف الشيخ الطيب المهاجي للمدرسة الخلدونية، وذكره المناظرات التي حدثت أمامه بين التلاميذ في مختلف التخصصات، من خلال قوله" طاف بي على حجرات تعليم التلاميذ من كل الطبقات ثم رتبهم صفا خلف صف وعقد بين تلميذين مناظرة في الطب والمحاماة، ثم عقد أخرى بين تلميذين آخرين في الفلاحة والتجارة ،وكلهم أجاد"[2].

3-التطابق بين الواقع والسيرة (الصدق / الحقيقة/و الصراع):

تعتبر السيرة الذاتية شكلا من أشكال الكتابة الأدبية التوثيقية، وما تزال تمثل منجزا أدبيا لدى مختلف الثقافات، فهي تمثل تجربة لا تخلو من العطاء و العبر مع مراعاة الصدق والحقيقة المتصلة بالذات.

أ-الصدق والحقيقة:

يعد التزام كاتب السيرة الذاتية بالصدق والحقيقة ضرورتين ملحتين، فهما من العناصر المهمة في بنائها، و حضورهما يولد الثقة بين المرسل والمرسل إليه، و يكسب النص قيمة تاريخية و اجتماعية. ويجعله وثيقة يمكن الرجوع إليها. و هي تعكس الصورة الحقيقية عن حياة صاحبها لأن السيرة "

[1] - الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص93.
[2] - المرجع نفسه ص90.

تبحث عن حياة إنسان وتكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته من ظروف حياة و الأحداث التي يوجهها في محيطه والأثر الذي خلفه"[1]

حيث نلتمس الحقيقة والصدق عند الشيخ الطيب المهاجي، عندما عكس لنا الأحداث الذي واجهها في تعليم أبناء الجزائر. من خلال عمله على إفادتهم بمكتسباته العلمية في قوله" ولما رأيت إقبال الطلبة على حضور دورسي اجتهدت في إلقاء الدروس المتنوعة يحضرها الكثير من الطلاب العلم، ثم التمس مني جماعة من طلبة البادية التدريس بقريتهم فبقيت بالبادية نحو السنتين وتزوجت هناك ثم عدت بأهلي إلى بلدة وهران"[2].

و قد أظهر لنا بصدق وحقيقة مطلقة الشيخ الطيب المهاجي، صورة الاستعمار الغاشم الذي لم يفوت ولا فرصة في إذاء الشباب الجزائري، وسعيه على اضطهاده وخنقه والحد من حريته في التعليم وكسب المعرفة ، وأجبرهم على كتب معينة تتماش مع مصالحهم ومخططاتهم الاستعمارية. من خلال قول الشيخ الطيب:" وبعد عراقيل وصعوبات تحمل على اليأس حصلت على رخصت ضيقة مقيدة بالإذن في قراءة فنون خاصة مع الحجر في باقيتها ، ولكنني لم اقتصر في التعليم على ما حددته الرخصة بل كنت أتعداه إلى قراءة ما أشاء وفي بعض الأوقات يأتي على حين غفلة مفتش من طرف الحكومة يراقب سير التعليم، و يسأل عن العمل بمقتضى ما في الرخصة مع التنبيه على منع جلب الكتب".[3]

---

[1] -فهمي ماهر حسن، السيرة تاريخ وفن،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ص21.

[2] -الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص84.

[3] -المرجع نفسه،ص85.

حيث أن الشيخ الطيب المهاجي بين من خلال ما كتبه، الصدق والحقيقة التي عشها وتعايش معها. و قد أظهر لنا حقيقة جانب كبير من حياته الواقعية، في بعض الأحيان يغيب الصدق لكنها ليست غاية مقصودة، فهي تكون عن عجز الذاكرة في استحضار بعض الأحداث. لأننا لا يمكن أن نقول ما نقله الكاتب "يشمل كلية الحياة فالاجتزاء أو الانتقاد في مثل هذه المواقع أمر مصوغ ومعروف إذا يستحيل نقل الوقائع بكل ما فيها من ثقل وركاكة ومجانية لامصوغ لها في علم الفن"[1] .

فكاتب السيرة الذاتية يترك منطقة للقارئ أن يصور الأحداث التي قراءها، وأن يشكلها ويصورها بشكل خاص حسب ذوقه وميوله، و يربط الأحداث كما يشاء .يقول فهمي ماهر "كاتب السيرة ليس فوتوغرافيا في رصده، يعرض علينا مجموعة صور وعلينا نحن أن نبحث عن الوحدة بينهما و نتعمقها ونقيم من خيالنا إطار يجمعها إنما يعرض علينا قصة حياته كما مثلها "[2].

فالسيرة الذاتية ترتبط إرتباط وثيقا بالواقع و تبتعد عن الخيال، فهي تعكس و تجسد الصدق والحقيقة المتعلقة بحياة كاتبها، وهذا ما كان في طيات كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر لشيخ الطيب المهاجي ابرز صدق الشيخ في عكس حياته بمراحها العمرية وطريقته في كسب معرفته عبر السنوات ورحلاته إلى البلدان والأقطار .

---

[1] -صالح صلاح،سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ط1،2003،ص201.

[2] -فهمي ماهر حسن ، السيرة تاريخ وفن،ص242.

ب-الصراع:

يُحدث الصراع دورا هاما و بارزا في بناء السيرة الذاتية، إذ يصور الداخل و الخارج و ما يمر فيهما من مواقف متباينة و متفاوتة عند الكاتب. و هذا ما يتفق معه إحسان عباس"بأن القيمة الحقيقة إنّما هي في الصراع و في مدى القوة التي تمنحها القراءة وهي تقدم له مثالا حيا من أنفسهم"[1]

فالسيرة الذاتية تمثل الواقع، لأنها تصور طبيعة الحياة الإنسانية بحذافيرها، وهذا من خلال توظيف الصراع الذي يعطي لها روح الحيوية في تصوير الأحداث.

ومن خلال هذا يمكننا اعتبار السيرة الذاتية أنها المرآة العاكسة لحياة الشيخ الطيب المهاجي وقد تمكنا من معرفة وكشف جوانب من حياته و صراعاته. يقول عبد الدليم" وينتج عن قوة الإحساس بالصراع في نفوس كتاب الترجمة الذاتية، أن تغلب عليهم روح الثورة و التمرد كما ينتج عن إحساسي بالصراع، إحساس بالقلق والحيرة والغربة في البيئة المحيطة، وعدم الانتماء إليها ونرى الكثيرين منهم قد وقفوا موقف الحذر والريبة وسوء الضن والسخط من هذا البيئة ومنهم من وقف من بيئته موقف الصلابة والإصرار على تغير ما بها من مسلمات"[2].

حيث التمسنا في كتابه الكثير من المواقف و الصراعات التي خاضها الشيخ، و التي جعلته يعيش موقف المحارب في تصدي السياسة الاستعمار، الذي كان يتخذ من البلد وأبنائها ساحة تجارب لتطوير أساليبه الوحشية في التعذيب فلم يترك طريقة إلا واستعملها. يقول الشيخ طيب المهاجي"يجمع

---

[1] -إحسان عباس ، فن السيرة ،ص90.

[2] -يحي إبراهيم عبد الدائم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،دار إحياء التراث العربي،بيروت-لبنان،ط1،سنة1974،ص48.

هذا الجيش الضاري الرجال والنساء أمام منازلهم ويسوقهم إلى الموت وهم ينظرون، فيرميهم بالرصاص واحدا بعد واحد، ويمثل بهم أشنع مثلة، ثم يذبح صبيانهم فوق صدورهم، بل بلغ الحقد بهذه الوحوش الضارية إلى أن يأخذ الجندي منهم الصبي الرضيع من حجر أمه ويرمى به للكلاب التي أعدها لتفترس الجزائريين..."[1]

رغم كل ما نفذه الاستعمار في حق الجزائريين من اضطهاد و قمع و محاولات لطمس الهوية الجزائرية و صراع الذي لم ينتهي إلا باسترجاع ما سلب من أبناء الجزائر.إلا أنهم سعوا إلى تغير الواقع و تصدوا لذاك الاستعمار الغاشم. والشيخ الطيب المهاجي أكبر دليل على ذلك حيث عكس لنا موقفه وموقف الشيوخ أمثاله، الذين حركتهم فطرتهم التي أساسها حب الوطن والتضحية من أجله، سعيا إلى تثبيت الشباب الجزائري على القضية وغرس حب الوطن وحب أرضهم. و جعلهم يدركون حقوقهم المسلوبة منهم، وكشفهم حقيقة الاستعمار و دعوتهم على محاربته والتعلم ومحاربة الجهل، وترسيخ اللغة العربية والأدب وإيصال صوتها إلى جميع أنحاء العالم وقتل العزلة التي فرضتها عليه فرنسا.

وقد إحتوى كتاب الشيخ الطيب المهاجي على صراعات كثيرة و على خرافات و بدع التي نسبت إلى الأمة المسلمة. و كما عُرف دائما وقوفه في وجهها و دعوته إلى تركها وتثبيت الأمة على القرآن الكريم و السنة الشريفة ودعوتهم إلى عدم الخوض في هذا الضلال.

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص114.

المبحث الثالث:المنهج والأحداث والشخصيات:

يهدف النص الوصفي إلى تحديد صفات ومميزات الإنسان والأشياء و المناطق والمناظر الطبيعية أو العمران. وبذلك يعتبر الوصف على حد جيرال جينت"كل حكي يتضمن سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغّير، أصنافا من التشخيص الأعمال أو أحداث تكوّن ما يوصف بالتحديد سردا (Narration) هذا من جهة . و يتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا(Description) ".[1] فيهدف النص الوصفي إلى تحديد الصفات والمميزات.

يقوم الشيخ الطيب المهاجي في تعبيره عن الرحلة إلى الحرمين الشريفين بتقديم وصف لطريقة التدريس ونوعية الدرس وأوقات الدروس، بقوله" وللشيخ أبي السمح حلقة بعد المغرب بالحرم يحضرها الكثير من لحجاج، و كان معه نوع إفراط في الإنكار على السواد الأعظم من المسلمين فيما لا يوافق مشربه الناحي فيه منحى ابن تميمة وتلميذه ابن القيم وكان بعض علماء الآفاق يعارضونه أثناء درسه ويكثر الأخذ والرد فيتحول المجلس إلى مناظرة حادة وجدال عنيف فينفض المجلس بدون أدن فائدة"[2].

ويتم حديثه واصفا طريقة أخذه الإيجازات من شيوخه فيقول:" ولما قلت له أني حضرت على الشيخ أبي شعيب وأنه أجازني طلب مني لإجازة فأجزته بما أجازني به الشيخ الدكالي"[3].

---

[1] –حميد الحميداني:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط3،المركز الثقافي العربي2006،ص78.

[2] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري : أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص72

[3] – المرجع نفسه،–ص72.

حيث تابع الشيخ حديثه واصفا البيت و الشيخ التكرورى في قوله:" و وضبت على حضور درس العلامة الزاهد الورع الشيخ خليل التكروري أخبرني من أثق به من الملازمين له أن الشيخ يعيش عيشة بسيطة ليس في بيته من الأمتعة ما يساوي ثلاثة دراهم شأن الذين ينظرون إلى الدنيا الفانية بعين الاحتقار ويرون أنها لاتزن بجناح بعوضة، و قد أجازني مشافهة إجازة عامة أتمنى أن يعمني الله ببركة صاحبها."[1] و يتبع الشيخ وصفه الإجازات من الشيوخ يقول:" ومن المجزين لي من علماء المدينة أبو العباس القدوة الأمام العلامة الشيخ أحمد الأمين بن عزوز زورته بمترله و تباحثنا في مسائل متنوعة هامة، ثم أجازني مشافهة إجازة عامة وحيث كنت على سفر وحال عجلة أوصيت بعض أصدقائي وهو الفاضل السيد عبد القادر ابن المفتي الجزائري المحاور بالمدينة المنورة و أنبته أن يتسلم لي من الشيخ الأمين إجازة بخط يده أتبرك بها كما وعدني بذلك وقت توديعي له "[2].

و وصف الشيخ الطيب المهاجي في رحلته إلى المغرب لبعض الأماكن والأشياء التي رائها بقوله: " و رغم ضيق الأزقة التي تحد جوانبها عن طول الطريق الدكاكين المتجاورة و المصنوعات البلدية و هي ملأ بالسلع المتنوعة والبضائع المجلوبة والمصنوعات البلدية وكلها معدة للبيع بالجملة والتفصيل "وقد وصف الكاتب أيضا شكل العمران في مغرب على عكس ما نجده في الجزائر في قوله"البناءات بها لازالت على عهد القديم لم يرسم لها وقت تأسيسها خطط هندسية، فهي ملتوية الطرق...".[3]

---

[1]-الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص 72.

[2]-المرجع نفسه، ص77.

[3] - المرجع نفسه، ص93.

فقد قام كاتب الرحلة برسم وتشخيص المكان وتوضيحه للقارئ من خلال تدوينه لرحلة ووصفه لكل ما يراه حيث اعتمد الشيخ على المنهج الوصفي في طريقة سرده لأحداث الرحلة.

1-الصدق والصراحة:

يعتبر الحدث عنصر من عناصر بناء أدب الرحلة نظرا لما يشمله من وقائع مختلفة تشتمل على الصدق والحقيقة "فالحدث اقتران الفعل بالزمان".[1] و لابد عند تسجيل الحدث من زمن معين يثبت ذلك.

ونجد الأحداث بتواريخها في قول الشيخ الطيب المهاجي معبرا عن رحلته" انتظرت قدوم المركب المخصص لنقل الحجاج من ميناء الدار البيضاء وميناء وهران والجزائر و عنابة، وفي السابع عشر من ذي القعدة رسا بوهران فحمل الذين كانوا في انتظاره ثم استأنف السير إلى عنابة فكان على ظهر المركب الألف والأربع مائة تسعة ثم أبحر من عنابة إلى جدة فقطع المسافة البحرية في ثلاثة عشر يوما إليها".[2]

كل ما ذكره الشيخ من المواقع والمناطق هي حقيقية وموجودة في الواقع تدل على صدق ما يقول.وفي قوله أيضا" ثم أننا بجدة عشية الأربعاء وبعد غروب الشمس رأى الناس هلال ذي الحجة ففرحوا واستبشروا حيث تحقق لديهم أن وقفتهم هذه السنة بالجمعة وأصبحنا من الغد بجدة ننتظر أن يؤذن لسيارات بنقل الحجاج إلى مكة وفي أثناء النهار من نفس الغد وهو يوم الخميس الفاتح ذي

---

[1] -محمد رغول سلام،دراسات في القصة العربية الحديثة،أصولها واتجاهات أعلامها الناشر منشأ المعارف الإسكندرية د،طن د،ت ،ص11

[2] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص68.

الحجة استأنفنا السفر إلى مكة فدخلنها من يومنا"[1]. و يتبع الشيخ في السرد الأحداث الرحلة في قوله أيضا" ثم بعدما دخلنا مكة أقمنا تسعة عشر يوما معدودا منها يوم عرفة". و يقول الشيخ أيضا كان خروجنا من مكة يوم الثلاثاء ،العشرين من ذي الحجة عام خمسين وثلاثمائة وألف. قد كنت قدمت أننا خرجنا من مكة في العشرين من ذي الحجة، قاصدين المدينة المنورة بأنوار سيد العالمين قد دخلنها ليلة الثالث والعشرين من الشهر المذكور، وكانت ليلة الجمعة ومن الغد صلينا الجمعة بالمسجد النبوي ثم صلينا الجمعة التي بعدها وخرجنا من المدينة فاتح المحرم فكانت إقامتنا بها ثمانية أيام"[2] .

و من خلال الأحداث التي سردها الشيخ الطيب المهاجي و الأماكن التي ذكرها في رحلته التي تمس للواقع بصلة، ندرك أن كل ما قدمه من حديث صادق وحقيقة . لأن كاتب الرحلة هو شاهد على تلك الأحداث. فيقول في هذا الصدد أبو الريحان البيروني: "إنما صدق القائل ليس الخبر كالعيان لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله"[3]. وهذا العرض الذي قدمه الرحالة سرد و إخبار. و سرد الأحداث وترتيبها عبر الزمن وتسجيل الواقع يدل على صدق وصراحة الشيخ الطيب المهاجي.

حيث تعد الشخصية عنصرا رئيسيا ضمن عناصر السرد، إذن فهي الفاعلة والمحرك لمجريات السرد داخل النصوص السردية "فلا يمكن تصور نص بلا أعمال كما لا يمكن تصور أعمال بلا

---

[1]- الشيخ الطيب المهاجي الجزائري،أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص79.

[2]- المرجع السابق،ص77.

[3] -أبو الريحان محمد البيروني،تحقيق ما للهند منه مقولة مقبولة في الغفل أو مرد وله مجلس دار المعارف العثمانية حيدر أباد،1908.

شخصيات".[1] وكاتب الرحلة هو المحرك الأساسي للأحداث .حيث السارد في الرحلة من البداية إلى النهاية الشيخ الطيب المهاجي كان هو العنصر المحوري متولي لزمام الأحداث في الرحلة لأنه هو من قام بالارتحال.

وقد تولى مهمة سرد الأحداث بصدق و صراحة من ما حدث له من قبل الاستعمار من أجل أداء فريضة الحج في قوله" فطلبت رخصة السفر التي لا تنال ولا يمكن الحصول عليها إلا بعسر بسبب ما تطلبه الحكومة من المفروضات التي فرضها القانون الفرنسي على المسافر والتي هي مجرد عراقيل يضعها الاستعمار في طريق اجتماع المسلم بأخيه في صعيد واحد"[2] .

و يذكر الشيخ زيارته لتونس والمغرب مع ذكره سبب الزيارة، حيث يذكر أنه قام بها بطلب من أصدقاء له. ومن ذلك فكل ما ذكره الشيخ يدل على أن الرحالة قام بفعل الارتحال وقد ذكر شخصيات متعددة في المستويات مختلفة حالتها ومميزاتها الاجتماعية والصفات والطبقات، فنجد هناك علماء ومدراء ،أساتذة. و نجد ذلك في قول :الكاتب من الذين اجتمعت بهم بمكة الشيخ أبو السمح إمام مسجد الحرام، ومن الذين قابلتهم من العلماء بمكة واستفدت منه الشيء الكثير عاد على فضله المجاهد الكبير والأستاذ المربي والعلامة التحرير الشهير أبو المواهب الشيخ سيد أحمد الشريف السنوسي الخطابي"[3]."ومن المجيزين لي من علماء المدينة،أبو العباس القدوة الإمام العلامة الشيخ أحمد الأمين بن

---

[1] -جويدة حماش:بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم لمصطفى فاسي مقاربة في السيميائيات،منشورات الأوراس،د ط،د ت،ص96.

[2] - الشيخ الطيب المهاجي الجزائري ،أنفس الذخائر وأطيب المآثر،ص67

[3] -المرجع نفسه ،ص72.

عزوز "[1] و معظم الشخصيات كانت تحتل موضعا واحد متشابها في مسار السرد تتميز بسلاسة الحوار وحب التعارف وتبادل أطرف الحديث.

2-الحقيقة والخيال:

إن وجود ملامح القصة في أدب الرحلة قد أسهم كثيرا في انتشار هذا اللون الأدبي، ورسخ في النفس أن تحب وتدرك ما رآه وما عانه و ما صادف الرحالة في رحلته، وخاصة حينما يكون الرحالة هو البطل في هذه القصة.

فالرحلة إذن تمثل العامل المحفز على التنقل من مكان إلى آخر، و من زمان إلى آخر فهي سردية وصفية انطباعية ذاتية. فهي تنبني على سرد الأحداث و وصف الأحوال. و الرحالة يقوم باستحضار الأقوال والأفعال التي تنجز من قبل فاعلين في أزمنة معينة وأمكنة متعددة و تشمل التجارب الواقعية الحقيقية و المتخيلة في الماضي وكذلك الحاضر والمستقبل. وهذا ما يظهر في رحلة الشيخ الطيب المهاجي من خلال سرد ما حدث بين الشيخ الشعيبي و الشيخ الحليم من خلال قوله": وعندئذ قال الشيخ عبد الحليم:يا أهل البليدة، مدينتكم شأنها اقل من أن يدرس بها مثل هذا العالم."[2]

وهكذا اعترف الشيخ للشيخ بالفضل، وهذا يمثل حقيقة وقعت في ذالك الزمن كيف اعترف الشيخ الحليم بأن الشيخ الشعيبي يحمل العلم الصحيح النافع الآمة. و نجد الشيخ يذكر مجموعة من الأحداث وبالأدلة التي تعكس حقيقة هذا الأمر من خلال حديثه بقوله:"وقد بقي بذاكرتي أن عالما

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص77.

[2] – المرجع نفسه،ص54

هندي جالسته بالحرم بعد الصلاة، وقد رأى الكثير من المغاربة متسمين بسمة الوشم في وجوههم وأيديهم فسألني عن حكم الوشم فأجبته بقولي أن حكم هذا الفعل القبيح الحرمة ولا أظن أن أحدا يتوافق في الحرمة ولا يستبعد استنباطها من قوله تعالى:" ولأمرنهم فليغيرن خلق الله"، فقال الأمر كذلك، ولكن قلت لعل أن يكون لهؤلاء رخصة في مذهب أمامهم فقلت له لا يصح الترخيص في تغير خلق الله "[1]

و هذه تمثل حقيقة الإسلام و ما حرمه على مسلمين و عدم استهانة بما نهانا عن الله عز وجل بتركه. تتجلى القيمة الأدبية للرحلات فيما تعرض فيه موادها و أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني. إن أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع في الأسلوب، بين السرد القصصي و الحوار وصولا إلى الوصف وغيره. إذا أبرز ما يميز أسلوب الكتابة القصصي المعتمد هو السرد المشوق، بما يقدمه من متعة ذهنية.

وهذا ما نجده عند الشيخ الطيب المهاجي من خلال سرده لقصة أستاذه سيدي محمد بن الفريح، الذي وصفه الشيخ بأن له قدرة ليست عند غيره من الناس. كان مكشف عنه الحجاب على حد قول الشيخ حيث وصف ما حدث أمامه.

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر ، ص71.

في قوله:" عمى في أخر عمره، فإذا توقف في مسألة قال لمن حضره:ناولني كتاب كذا، فبقبض على الكتاب ويمر يده من أعلاه إلى أسفله،ثم يفتح الكتاب ويقول انظروا هنا فيوجد محل المسألة بدون أن يتخطاه ولا بورقة واحدة فكان يعد ذلك من مكاشفاته"[1].

ونجد الخيال عند الطيب الهاجي في ذكر كرامات نقلت بالسماع عن السابقين، وهي تمثل الحقيقة في فضل الله على عباده الصالحين والتي لا يقدر العقل الإنسان العادي أن يستوعبها ليصنفها في عالم الخوارق والخيال، و هذا ما نقله الشيخ الطيب المهاجي عن سيدي الفريح عن كراماته في قوله"أن فرسه المركوبة له كانت تكلمه أحيانا كلاما لايصدر في العادة إلا من العاقل"[2]

إنّ أدب الرحلة و هو واحد من الفنون الأدبية الملزم بتوظيف المعطيات الفنية، على حساب ضوابط معينة. فإذا كان الخيال مثلا يسهم في إثراء فنون أدبية كالقصة والرواية، فإن وجوده في أدب الرحلة يكون محدود و يكون في حدود ما يسمح به الحدث الحقيقي. وهذا ما ظهر بشكل واضح في كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر الشيخ الطيب المهاجي لم يظهر الخيال فيه لكونه ذكر الأحداث الحقيقية التي وقعت في رحلاته التي قام بيها و قد عكس واقع المجتمع بصورته الحقيقة بعيدا عن تزيف .

3- الصراع:

تعتبر الشخصية أبرز وأهم عناصر البنية السردية، فهي بمثابة النقطة المركزية أو الأساس الذي يرتكز عليه العمل السردي. حيث نجد تفاعل بينها وبين الراوي حسب الموقف.

---

[1] - الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص44.

[2]-المرجع نفسه ص122.

و يمكن القول " أن الشخصية هي مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي ويمكن أن يكون هذا المجموع منظم أو غير منظم".[1] فالحكي عن الشخصيات في كل مرة كان من أجل لإلمام بمسار السرد. حيث أن"السرد إعادة متجددة للحياة تجتمع فيه أسس الحياة، من شخصيات وأحداث وما يؤطرها معا من زمن ومكان، تدخل في صراع يحافظ على حياة السرد وسيرورة الحكي وفق تعدد لغوي وإيديولوجي وفكري يتسع ليشمل خطابات متعددة ومختلفة" [2] .

فالإلمام بالشخصيات والأحداث يتبعه صراع من أجل سيرورة الحكي، ويسرد التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات ومدى الخلافات التي تؤدي إلى الصراع فيما بينها. ونجد الصراع في رحلات الشيخ الطيب المهاجي عند سرد أحداث الصراع مع العلماء في بلاد المغرب واختلاف الرأي فيما بينهم في قوله: "وقبل إحضار المائدة سمعنا أذان صلاة العشاء فاقترح أحد الجالسين تقديم الصلاة على طعام العشاء ،...فنطق أخر بما ورد أرحنا بها يا بلال، فقلت هذا الحديث والله له احتمالان: أحدهما هو أن يكون المعنى أرحنا بأداء الصلاة من بقاء الذمة عامرة ومشغولة بالفرض المكلفة بأدائه والأخر من الاحتمالين هو أن يكون المعنى والله اعلم أرحنا بالدخول فيها لان ذلك يريحنا من التفكير في أعراض الدنيا ومن إرادات الخواطر وهواجس النفوس لاستغراقنا وقت مناجاة الله والوقوف بين يده في عظمته وجلاله وكبريائه".[3]

---

[1] -تزفيتان تودوروف:مفاهيم سردية،ترجمة عبد الرحمان مزيان،منشورات الأختلاف،ط1،2005،ص74.

[2] - سعيد يقطين:الكلام والخبر مقدمة السرد العربي،ط1،المركز الثقافي،بيروت،1997،ص19.

[3] -الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر، ص96.

نجد هنا أن الشيخ قام بتصريح عن أي الاحتمالين هو يختاره حيث اختار الاحتمال الأول هو الذي يناسب أن نقول من أجله أريحنا بها يا بلال، و أما الاحتمال الثاني فإنه لا يصلح معه الإتيان بالحديث المذكورة. في قوله" الاحتمال الأول هو الذي يناسب أن أقول من اجله أرحنا بها يا بلال...كما هو ظاهر وكل الاحتمالين صحيح فعارضني الجماعة، و صمموا على أن المتعين هو الاحتمال الثاني وأن الأول غير صحيح مستدلين بحديث:"حبب إلى من دنياكم ثلاث" أحداها قرة عيني في الصلاة لا يمنع حصول الراحة بأداء ما الذمة و بإتيان القدر المكلف به، و لم يحضرني إذ ذاك لتصيح الاحتمال الأول سوى ما ذكرت ومع كونه فيه كفاية صمم الحاضرون كلهم على مخالفتي وتزييف فهمي،ولكثرة المخالف سلمت تسليما جدليا"[1].

وكذلك نجد الصراع الشيخ مع الاستعمار ورفضه له و رفضه لكل ما يقوم بيه من تخريب واضطهاد للشعب وسعيه إلى محاربته بكل الطرق من أجل تحقيق الحرية المنشودة.

[1] – الشيخ الطيب المهاجي الجزائري، أنفس الذخائر وأطيب المآثر ،ص96.

خاتمة:

توصلنا في ختام هذا البحث العلمي إلى مجموعة نتائج تمثلت في مايلي:

- السيرة فن أدبي يعبر عن شخصية لها بصمتها وأثرها في الحياة سواء أكانت ذاتية آم غيرية.

- اختلف الأدباء والنقاد حول تاريخية السيرة كما اختلفوا في نسبتها وقصب السبق فيها ألا العرب كان المنشأ أم الغرب، ورأينا هو إثبات عروبة السيرة مادام هناك علم قديم يسمى علم الرجال ولن يتأتى ذلك لصاحب هذا العلم إلا بمعرفة سير الناس، هذه من جهة ومن أخرى فإن السير كانت تروى شفاها في المناسبات الاجتماعية والدينية.

-تأثر النقاد العرب في نقدهم السيري بأعمال الناقدين الفرنسي فيليب لوجون، وجورج ماي باعتبارهما من الذين كرسوا، كل مجهوادتهم العلمية لتطوير مجال الأدب سواء على صعيد نظري أو التطبيقي.

-سعي النقاد والدارسين العرب في الكشف عن علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأدبية الأخرى، حيث وجدوا علاقة وصلة و تعالقا بينها وبين الاعترافات واليوميات، والرحلة والرواية وغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى و ينضم تحتها حتى الشعر.

-كون السيرة الذاتية تأخذ من اللغة وسيلة لإحياء الماضي، وتكشف عن الحقائق والجوانب للفرد وتعكس مظاهر المجتمع من خلال صاحبها وبذلك تشكل تجربة فنية أدبية مميزة.

-تعتبر الرحلة سجلا هاما لمختلف مظاهر حياة الشعوب والأمم، سوا ء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الديني.

-الرحلة حافز كبير لبناء شخصية قوية، من خلال التجارب القاسية والصعوبات التي يمر بها الرحالة.

- الرحلة والحديث عنها يعتبر جزء من كتابة السيرة.

-رحلة الشيخ الطيب المهاجي"أنفس الذخائر"تعتبر من الوثائق التاريخية المهمة في تاريخ الجزائر، حيث سجل الشيخ في رحلته الوضع العام للجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي.

-رحلة الشيخ سي الطيب المهاجي تعرفنا على أهم الكتاب الذين كانوا في عصره، ومن خلال رحلاته تعرفنا على معالم المجتمع المغربي والتونسي.

المصادر والمرجع:

-القرآن الكريم.رواية ورش

أولا- المصادر والمرجع:

1-أحمد أبو سعد :أدب الرحالات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد بيروت،ط1961،1.

2-أسماء أبو بكر:ابن بطوطة الرحلة والرحلة، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت1992.

3-أمل التميمي:السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر. المركز الثقافي العربي،بيروت.2005

4-إحسان عباس: فن السيرة الذاتية،ط2، دار الثقافة بيروت البنان.

5-تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،دار فارس للنشر والتوزيع،عمان،ط،2002.

6-جليلة الطريطر:مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث مركز البشر الجامعي مؤسسة سعيدان النشر،2004.

7-جواد على،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ج8،دار العلم للملايين بيروت 1970.

8-جويدة حماش،بنا الشخصية في حكاية عبد والجماجم المصطفى فاسي مقاربة في السيميائيات،منشورات الأوراس،د ط ،د ت.

9-الحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،وكالة المعارف 1941،المجلد الثاني.

10-حسن محمد فهيم،أدب الرحلات،دار عالم المعرفة،لكويت 1989.

11-حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ط3،المركز الثقافي العربي2006.

12-حنا عبود، النظرية الأدبية الحديثة والنقد الأسطوري ،إتحاد الكتاب العرب،دمشق1999.

13-رشيد يحياوي: الشعري والنثري في الأدب العربي الحديث ،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،عمان ،ط2016،1.

14- أبو الريحان محمد البيروني،تحقيق ما للهند منه مقولة مقبولة في الغفل أو مرد وله مجلس ،دار المعارف العثمانية حيدر أباد1908.

15-ساميا بابا:مكون السيرة الذاتية الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ،دار عنيداء للنشر والتوزيع2011.

16- ابن سعد،الطبقات الكبرى ،تحقيق بشار عواد،ط1،الرسالة بيروت،1413.

17- سعيد يقطين:السرد العربي،مفاهيم وتجليات ،ط1،رؤية للنشر والتوزيع القاهرة.2006

18-سعيد يقطين:الكلام والخبر مقدمة السرد العربي،ط1،المركز الثقافي،بيروت.1997

19-شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،دار فارس للنشر والتوزيع عمان،ط.2002،1

20-شكري المبخوت:سيرة الغائب سيرة ألآني السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين،دار الجنوب للنشر،تونس،د،ط،.1992

21-شوقي ضيف:الترجمة الشخصية ،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط.1956،4

22-شوقي ضيف:الرحلات فنون الأدب العربي الفن للقصصي،دار المعارف،القاهرة.

23-صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة،ط2،دار منشأة المعارف الإسكندرية،مصر 1999.

24-صالح صلاح:سرديات الرواية العربية المعاصرة،ط1،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة،.2003

25-عبد الحق بلعابد:عتبات(جيرار جينت من النص إلى المناصر)،ط1،منشورات الاختلاف الجزائر الدار العربية لعلوم ناشرون،بيروت لبنان،.2008

26-عبد الحكيم محمد شعبان:السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ط،1مؤسسة العراق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،2015

27-عبد الدائم يحي:الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ط1،مكتبة النهضة المصرية القاهرة،.1974

28-عبد الرحمن بن محمد بن خلدون،مقدمة ابن خلدون،تحقيق المستشرق الفرنسي أ.م كاترمير،المجلد الأول،مكتبة علي مولا لبنان بيروت،1858.

29-عبد العاطي إبراهيم هواري:لغة التهميش السيرة الذات المهمشة،جائزة الشارقة للإبداع العربي،2008.

30-عبد العزيز شرف:أدب السيرة الذاتية،ط1،مكتبة لبنان ،الشركة المصرية العالمية لنشر ،لونجمان مصر،.1992

31- عبد القادر الشاوي:الكتابة والوجود(السيرة الذاتية في المغرب)، إفريقيا الشرق، المغرب، د،ط،2000.

32-أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تراجم رجال روي محمد بن إسحاق رئيس أهل المغازي،التاريخ الكبير ،ج3،جمعية دائرة المعارف،1941-1944.

33-عبد المنعم الجمعي:منهج البحث التاريخي، ط1، القاهرة1992 .

34-على أدهم:لماذا يشقى الإنسان، ط1،دار المعارف،القاهرة،1979.

35-عماد حلو،القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية ،دار الحنان للنشر والتوزيع ،عمان،ط2017،،1.

36- عماد الدين خليل:من أدب الرحلات،دار ابن كثير،د،ط،.2005

37-عمر بن قينية:في الأدب الجزائري الحديث تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر .1995

38-عز الدين إسماعيل :الأدب العربي الحديث،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،برج الكيفان الجزائر،ط1.

39-عيسى بخيتي:أدب الرحلة الجزائري الحديث،دار النشر وطباعة هومة،2017.

40-فاروق خورشيد،في الرواية العربية ،دار العودة ،ط3،بيروت،لبنان،1979.

41-فايز صلاح عتامنة:السرد في رواية السيرة الذاتية العربية،ط1،مؤسسة العراق للنشر والتوزيع،عمان الأردن،.2014

42-فريد بن سليمان:مدخل إلى دارسة التاريخ،مركز النشر الجامعي، تونس،.2000

43-فهمي ماهر حسين:السيرة تاريخ وفن،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة.

44-فؤاد قنديل:أدب الرحلة في التراث العربي،ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب،2001.

45-لعواطف محمد يوسف نواب،الرحالات المغربية و الأندلسية،دراسة تحليلية مقارنة،مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض1996.

46-محمد بن عثمان المكناسي:الإسكير في فكاك الأسير،تحقيق محمد الفاسي،المركز الجامعي للبحث العلمي،المغرب،د،ت، من المقدمة.

47-محمد سعيد رمضان البوطي،فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ الخلافة الراشدة،ط10،دار المفكر ،دمشق،سورية،1411ه-1991م.

48-محفوظ كحوال،الأجناس الأدبية النثرية والشعرية،دار نوميديا للنشر والتوزيع الجزائر ،د،ط،.2007

49-محمد صابر عبد:السيرة الذاتية للشعرية قراءة في التجربة السيرة لشعراء الحداثة ،عالم الكتب الحديث،ط1،أريد،الأردن،2008.

50-محمد عبد الغني حسن: التراجم والسير،ط3،دار المعارف،القاهرة،مصر.1980

51-محمد رغول سلام:دراسات في القصة العربية الحديثة،أصولها واتجاهات أعلامها الناشر منشأ المعارف الإسكندرية ،د،ط،د،ت.

52-نبيلة إبراهيم ،أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة ،ط3،د،ت.

53-نبيل راغب: فنون الأدب العالمي،الشركة المصرية للنشر،لونجمان،لطبعة الأولى 1996،دار نوبار للطباعة القاهرة.

54-نوال عبد الرحمان الشوابكة:أدب الرحالات الأندلسية والمغربية(حتى نهاية القرن التاسع الهجري)،دار المأمون،ط1،عمان .2008

55-نور الدين فارس: دلالة السرد في المعمار الدارمي تجليات الحداثة،ط1، سنة.1998

56-يحي إبراهيم عبد الدائم : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،دار إحياء التراث العربي،بيروت- لبنان،ط1،سنة1974.

-الكتب المترجمة:

1-تزفيتان تودوروف،مفاهيم سردية،ترجمة عبد الرحمن مزيان،منشوارت الاختلاف،ط.2005،1

2-جورج ماي،السيرة الذاتية،ترجمة عبد الله صولة و محمد القاضي،رؤية للنشر والتوزيع،ط1،سنة.2017

3-دانيل هنري باجو،الأدب العام والمقارن،ترجمة غسان السيد،منشورات إتحاد الكتاب العرب،دمشق،د،ط،د،ت.

4- رينولدزدوت:السيرة الذاتية في الأدب العربي،الفكرة المغلولة عن الأصول الأوربية.

5-فليب لوجون السير،السيرة الذاتية، الميثاق والتاريخ،ترجمة وتقديم عمر على،ط1،بيروت،1994.

6-ول وايريل ديورانت،قصة الحضارة،ترجمة زكي نجيب محمود،الجزء 1،المجلد1،دار الجيل للطباعة،.1988

2-المعاجم والقواميس:

1-الفيروز أبادي،قاموس لمحيط،دار الكتب العلمية،ط3،بيروت-لبنان،.1999

2-إبراهيم مصطفى وآخرين،المعجم الوسيط،تحقيق مجمع اللغة العربية،جزء2،دار الدعوة،د،ت.

3-عبد النور جبور، المعجم الأدبي،دار العلم للملايين،ط2،لبنان،.1984

4-مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،كامل المهندس، الناشر مكتبة،ط2، لبنان 1984.

5-ابن منظور،لسان العرب،دار صادر، ط4،بيروت-لبنان،2005.

3- المجلات أو الدوريات:

1-بوشنافي محمد، هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني(1520،1830)،مجلة الموافق للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،عدد4،ديسمبر.2009

2-حسن بحراري ،أتساق الميثاق الانتوبيوغرافي،السيرة الذاتية،العدد 4،3،بالمغرب،1984.

3-حسين مناصرة،روائية السيرة الذاتية،قراءة في نماذج سيرية سعودية،مجلة علامات ،النادي الأدبي الثقافي،جدة السعودية ،م13، ج49،سبتمبر2003.

4-زوهري وليد،أدب الرحلة الجزائريين إلى مكة والمدينة،دراسة وصفية تحليلية،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية ،ماليزيا،الجامعة الإسلامية العالمية،العدد1،جوان .2012

5-سعيد علوش، الصورة الغربية في الذاكرة الشرقية ،والصورة الشرفية في الذاكرة الغربية،مجلة الثقافة الأجنبية(محور أدب الرحلات)، العدد 3،بغداد،العراق،1989.

6-سعيد مغاوري محمد،أبرز مجموعات وثائق البرديات العربية في العالم وأبرز الدراسات حولها،مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس ،العدد3،لقاهرة1996.

7- سميرة أنساعد ،الرحلة إلى الشرق في الأدب الجزائري في العهد العثماني،مجلة التراث العربي،مجلة فصيلة.

8-عبد المجيد بن نعيمة،الأثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري،في إطار أعمال مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا،جامعة وهران،ط1،سنة2004.

9-محمد عبد الغني حسن،التراجم والسير ،ا ومحمود أبو الخير ،لترجمة الذاتية في الأدب العربي،مجلة أفكار،العدد49، سنة1992.

4- الرسائل الجامعية:

1-عدل عبد الغفور عبد الغني،مرويات عروة بن الزبير في السير و المغازي "جمع ودراسة"،رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية العالية "الدكتوراه"الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،1413ه-1992م.

2-ملكاوي فايزة،فن السيرة في الأدب العربي الحديث"حياتي"أحمد أمين ،أنموذجا،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص أدب عربي حديث ،جامعة المسيلة 2013-2014.

3-ندى محمود مصطفى الشيب،فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني(1992،2002)،درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدارسات العليا نابلس فلسطين،2006.

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة ..... أ-ج

مدخل :إشكالية التعالق بين السيرة والأدب الرحلي.....5-16

الفصل الأول: السيرة والأدب الرحلي مفاهيم ودلالات وسؤال التجنيس.

المبحث الأول: المفهوم، المسار و التطور..... 18

1-تعريف السيرة لغة واصطلاحا..... 18

2- سؤال النشأة (عند العرب والغرب)..... 21

3-المسار والتطور في أدب السيرة 26

المبحث الثاني: مشكلة التجنيس في أدب السيرة. 34

1-تعريف السيرتين 34

أ-تعريف السيرة الذاتية..... 34

ب-تعريف السيرة الغيرية..... 35

2-السيرة والاعترافات واليوميات 38

3-دوافع السيرة الأدبية..... 43

المبحث الثالث: الأدب الرحلي المفهوم/النوع/الدافع..... 46

1-مفهوم الرحلة ومسارها عبر الزمان والمكان..... 46

2-بين الرحلة وأدب الرحلة 52

3-أنواع الرحلات..... 53

4-دوافع الرحلات: 54

الفصل الثاني: تعالق السيرة بالأدب الرحلي في رحلة الشيخ الطيب المهاجي

المبحث الأول :تقديم الرحلة وصاحبها..... 59

1-الطيب المهاجي رحالة وأديب..... 59

2-ملخص رحلات الشيخ الطيب المهاجي 69

3-دوافع كتابة الرحلة 75

المبحث الثاني: تعالق الأدب بالسيرة في الرحلة: 79

1-تجليات السيرة في الرحلة..... 79

2-الهدف من الكتابة..... 81

3-التطابق بين الواقع والسيرة (الصدق / الحقيقة/و الصراع)..... 83

المبحث الثالث: المنهج والأحداث والشخصيات 88

1-الصدق والصراحة 90

2-الحقيقة والخيال 93

3- الصراع: 95

خاتمة 98

المصادر والمراجع..... 100

الفهرس والموضوعات 108

ملخص:

تشكل السيرة الذاتية حضور مميزا في الأدب العربي والغربي، إذ يعتمد عليها الكاتب للتعبير عن كل ما يختلج داخله من أفكار و أحاسيس، وهذا ما تحدثنا عنه في بحثنا الذي هو بعنوان تعالق أدب السيرة بالأدب الرحلي، و السيرة عامة فن أدبي يركز على تسجيل أعمال إنسان ما و تحليلها و التعليق عليها بقصد الإفادة، مما فيها من خبرات و تجارب في الحياة. وهناك سيرتان السيرة الذاتية يكتبها الكاتب لنفسه والسيرة الغيرية يخص بها الكاتب غيره. و تعتبر السيرة جزء في الأدب الرحلي الذي يعد واحدا من أجمل أنواع الأدب، إذ أنه يعكس و يوثق كل ما يصادف الرحالة عبر رحلته كلها حيث أنه يصور كل ما جرى له من أحداث وما صادفه أثناء رحلته التي قام بها إلى البلدان وتعد كتب الرحالات من أهم المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية، و قد جمع كتاب أنفس الذخائر وأطيب المآثر الشيخ الطيب المهاجي بين أدب السيرة الذاتية وأدب الرحلة، حيث دون فيها نشأته ومراحل عمره في التعلم وطلب العلم وتعرفنا على حياته وما صادفه الشيخ أثناء الرحلات التي قام بيها إلى البلدان الأخرى.

الكلمات المفتاحية: السيرة ،السيرة الذاتية، السيرة الغيرية،الأدب الرحلي.

Abstract:

The biography constants a distinguished presence in Arabic and western literature if the writer relies on it to express all the thoughts and feelings within him. The biography in general is a literary art that focuses on recording and analyzing the works of a person and commenting on it with the intent of benefiting from its experiences in life.

There are two autobiographies that the author writes for himself and the alter-ego biography is a biography of a person written by someone else. And the biography is considered part of the travel literature. Which is one of the most beautiful types of literature, as it reflects and documents everything that happens to the traveler through his entire journey, as he depicts all the events that happened to him, what his trip to countries, and travel books are considered among the most important historical, geographical and social sources.

The book "the most valuable relics and best exploits sheikh al-Tayeb Al-Mahaji" combined biographical literature, where he recorded his upbringing and stages of his life in learning and seeking know his life and what the sheikh encountered him during the trips he made to other countries.

Key words: biography, autobiography, autobiography, heterosexual biography, nomadic literature.